معرفة ما يجب لآل البيت النبوي من الحق على من عداهم

تأليف

تقي الدين أحمد بن علي المقريزي

تحقيق وتعليق

محمد أحمد عاشور

دار الاعتصام

ص. ب ٨٦٠١ بيروت

الطبعة الأولى
١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م

المقريزي في سطور

- هو أحمد بن علي بن عبد القادر تقي الدين المقريزي اشهر مؤرخي مصر الإسلامية في القرن التاسع الهجري .

- ولد بالقاهرة في حارة « برجوان » بالجمالية سنة ٧٦٦ هـ — ١٣٦٤م وأصله من «بعلبك» ، ثم هاجرت اسرته واستقر بها المقام في مصر .

- بدأ حياته العلمية بالقاهرة بين أسرة عرفت بالعلم والفضل فحفظ القرآن الكريم ، وتلقى مختلف العلوم والفنون على نخبة من علماء مصر المرموقين .

- شهد المقريزي نهاية دولة المماليك البحرية (٦٤٨هـ — ٧٨٤م ١٢٥٠ م — ١٣٨٢م) وبداية دولة المماليك البرجية (الجراكسة) (٧٨٤هـ — ٩٢٣هـ —١٣٨٢م — ١٥١٧م) ومن أبرز السلاطين الذين عاصرهم وأرخ لهم : الظاهر سيف الدين برقوق، وابنه الناصر ابو السعادات فرج بن برقوق، والمؤيد شيخ المحمودي، وسيف الدين ططر ، والاشرف برسباي .

- تولى عدة وظائف في الدولة المصرية فقد ولى وظيفة « الحسبة » وهي تشمل جملة اختصاصات منها : ضبط الأسعار والموازين، والمكاييل والمقاييس، والعناية بالمنشآت العامة، والصناعات التي لها

علاقة مباشرة بصحة المواطنين وأمنهم، والمحافظة على الآداب العامة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما تولى الخطابة والتدريس في أشهر مساجد القاهرة وعلى رأسها جامع عمرو بن العاص، بالإضافة إلى توليه القضاء نائباً عن قاضي القضاء الشافعي، ثم تفرغ اخيراً لكتابة التاريخ «حتى اشتهر به ذكره وبعد فيه صيته» كما يقول السخاوي.

- زادت مؤلفات المقريزي على مائتي مجلدة أرخ في جزء كبير منها لمصر: سياسياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وعمرانياً مثل كتاب «عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط» و «اتعاظ الحنفا باخبار الفاطميين الخلفا» و «السلوك لمعرفة دول الملوك» و «درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة» ثم موسوعته الكبرى: «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار».

- كما أرخ في السيرة والتاريخ العام مثل كتاب «الخبر عن البشر» و «إمتاع الأسماع بما للرسول عليه الصلاة والسلام من الأبناء والحفدة والمتاع» و «الدرر المضية في تاريخ الدولة الإسلامية» و «منتخب التذكرة».. الخ

- وللمقريزي مجموعة رسائل صغيرة عالج فيها بعض القضايا التاريخية الخاصة مثل «النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم» و «ضوء الساري في معرفة خبر تميم الدارى» أو القضايا الاقتصادية مثل كتاب «اغاثة الأمة بكشف الغمة» و «شذور العقود في ذكر النقود» أو العلمية مثل: «المقاصد السنية لمعرفة الاجسام المعدنية» و «الإشارة والإيماء إلى حل لغز الماء» او الاجتماعية مثل: «الطرفة الغريبة من اخبار حضرموت العجيبة.

- رحل المقريزي عدة مرات الى بعض الأقطار الإسلامية، فحج بيت الله الحرام، وجاور بمكة سنوات، كما دخل دمشق، وعاش فيها مدة تولى خلالها نظارة بعض الاوقاف، وتدريس علم الحديث في المدرسة الاشرفية والإقبالية.

- كان من أبرز تلاميذ العلامة ابن خلدون، وقد تأثر بمنهجه في كتابة التاريخ تأثراً عميقاً، وساعده على سلوك هذا المنهج وقوفه على أحوال المجتمع المصري، وتبصره بعاداته وتقاليده، وامتزاجه بجميع الطوائف المصرية.

- توفى المقريزي عصر يوم الخميس ١٦ من رمضان سنة ٨٤٥ هـ بعد حياة امتدت نحو ثمانين عاماً قدم خلالها تراثاً تاريخيا مجيداً تعتز به الانسانية في كل مرحلة من مراحل حياتها الفكرية.

* * *

تقديم

« معرفة ما يجب لآل البيت النبوي من الحق على من عداهم »
هو عنوان الكتاب الثاني ، من مجموعة رسائل المقريزي ، الذي نقدمه اليوم الى المكتبة الاسلامية محققاً تحقيقاً علمياً .

وقد عالج المؤلف في هذا الكتاب قضية من أدق القضايا التي كان لها أثر واضح في تاريخ الأمة الإسلامية . من خلال شرحه لخمس آيات من القرآن الكريم هي قوله تعالى من سورة الأحزاب :
(إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)وقوله تعالى من سورة الطور : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) وقوله تعالى من سورة الكهف : (وَأَمَّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي المَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ، وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً) ، وقوله تعالى من سورة الرعد : (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ) ، وقوله تعالى من سورة الشورى : (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) .

وقد جعل المقريزي من هذه الآيات الخمس مستنداً له في بحثه

الذي يدور حول ما يجب لآل البيت النبوي من حب المسلمين لهم وتوقيرهم، ونصرتهم، ومودتهم.. واعتمد في تفسير هذه الآيات على عمدة المفسرين أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ثم اقتبس نصوصاً أخرى من تفسير أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، وأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، ومحيى الدين بن عربي، ونجم الدين سليمان الطوفي، وغيرهم من أئمة المفسرين.

ولم يقف المقريزي عند حدود النقل من هذه المصادر، بل تخطاها الى مرحلة أخرى سلك فيها طريق الباحث المدقق الذي يسعى وراء الحقيقة، ويقدم بين يديها حشداً من الأدلة والبراهين التي اطمأن اليها عقله، وأرشده لها تفكيره، بعد تحليل متأن ومناقشة مستنيرة ... فكان صاحب رأي فيما قدم لنا من آراء غيره ... نراه مثلاً عندما تعرض لتفسير قوله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) يأتي لنا بأقوال المفسرين حول المقصود بهذا الخطاب: هل هم الأنصار، أم بطون قريش، أم غيرهم؟ وهل المراد بالقربى: التقرب الى الله أو أهل قرابته صلى الله عليه وسلم، أو القرابة التي بينه وبين بطون قريش، أو مطلق القرابة.. آراء عديدة يعرضها لنا المقريزي بفهم ودقة واستيعاب، ثم يعلق عليها برأي خاص به فيقول: «ويظهر لي أن الخطاب في الآية عام لجميع من آمن، وذلك أن العرب بأسرها قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هو منهم، فيتعين على من سواهم من العجم أن يوادوهم ويحبوهم، وقد جاء في الأمر بحب العرب أحاديث، وأن قريشاً أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن كلهم فإنهم كلهم أبناء اسماعيل ابن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام..»

وبعد أن استوفى المقريزي الكلام في شرح الآيات الخمس ختم رسالته بفصل طريف سرد فيه مجموعة من الرؤى والحكايات اعتمد فيها على السماع من شيوخه ومعاصريه، وقصد منها إظهار مدى حب الرسول صلى الله عليه وسلم لآل بيته، وتألمه مما يصيبهم من مكروه على يد مبغضيهم؛ فيكون لشيوع تلك الرؤى اثره في ترقيق قلوب الناس عليهم، وجعل الأفئدة تهوي إليهم، والأرواح تهيم بمحبتهم؛ ومودتهم.

* * *

وهنا يبرز سؤال له وزنه في تلك القضية: هل كان المقريزي بتأليف هذه الرسالة منحازاً إلى مذهب معين، أو منحرفاً إلى فئة لها صبغة خاصة.. وبعبارة أوضح: هل كان المقريزي شيعياً — كما حاول بعض المؤرخين المعاصرين له أن يثبت ذلك؟ أم كان يصدر عن عاطفة عامة اشترك معه فيها كل مسلم يحب الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وآل بيته دون أن يتمذهب بمذهب خاص؟؟

لا شك أن هذا موضوع جدير بالبحث والمناقشة لا سيما وقد كثرت فيه الأقاويل اعتماداً على ما كتبه المقريزي من مثل هذا الكتاب الذي بين أيدينا، وكتاب «النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم» و «اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا» ففي هذا الكتاب الأخير أجهد المقريزي نفسه لإثبات نسب العبيديين إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، وناقش الذين يشككون في هذا النسب، وخلص فيه إلى أن نسب هذه الأسرة إلى فاطمة الزهراء صحيح، وأن ما قاله المعارضون لهذه الحقيقة ما هو إلا مقالة خصم يتلمس لعدوه مزالق التهم، ومواطن الشبه، وقد دعم المقريزي رأيه هذا بدليلين:

* أحدهما : أن المروجين لعدم صحة النسب كانوا من العباسيين
* ثانيهما : أن الفاطميين قد مكن الله لهم في الارض ، واعتُرف بسلطانهم في مصر والشام ، والحجاز ، والمغرب ، ولا يمكن أن يؤيد الله الأدعياء هذا التأييد ،وكما أن تصديق الرسل والأنبياء مما أوجبه الله على نفسه نشراً للخير وإعلاء للواء الصلاح ؛ فإن خذلان الكذبة والأدعياء مما جرت به ألسنة الإلهية لهذا الهدف نفسه ... »

كان هذا الدفاع الحار عن الفاطميين وصحة نسبهم مبرراً قوياً لمن رماه بمذهب التشيع من أمثال السخاوى وغيره .

لكننا لدينا من النصوص والأدلة ما ينفي عن المقريزي صبغة التشيع ، وما يثبت انه صدر في حبه لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم عن عاطفة صادقة شـأن كل مسلم متحوط لدينه ، لأن حبهم نابع من حب الرسول لهم .

وأول هذه الأدلة أن المقريزي بعد أن قدم دفاعه عن صحة نسب الفاطميين لم يحاول أن يخفي شيئاً من عيوبهم ، أوستر ما ذاع من فضائحهم..فقد ذكر في «اتعاظ الحنفا» على سبيل المثال لا الحصر أن الحاكم بأمر الله وزع منشوراً في المساجد يسب فيه الشيخين ابا بكر وعمر ، وعلق المقريزي على تلك الحادثة بقوله : « فيه فحشٌ كثير ، وقدح في حق الشيخين رضي الله عنهما » (١)

ثانيها : أن المقريزي خالف الشيعة فيما ذهبوا إليه من تخصيص آل البيت بأولاد علي وفاطمة فقال معلقاً على الآراء التي قيلت في معنى قوله تعالى : (إنما يُريدُ اللهُ ليُذهِبَ عنكُمُ الرجسَ أهلَ البيتِ ويُطهّركُم تطهيراً) : « والذي يظهر من الأدلة أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم . . »

(١) انظر : ٢/٥٣ .

« ولا اعتبار بقول الكلبي : « هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة » فإنه توجد له اشياء من هذا التفسير ما لو كان في زمن السلف الصالح لمنعوه من ذلك ؛ وحجروا عليه .. »

ثالثها : أن المقريزي لم يوجه كلمة نقد واحدة لنجم الدين الطوفي حين علق على حصر الشيعة معنى «القربى» من قوله تعالى : (قُل لا أسألُكُم عليهِ أجراً إلا المودّةَ في القُربى) في أولاد علي وفاطمة خاصة فقال : « وعند هذا « استطال !!» الشيعة ، وزعموا أن الصحابة رضي الله عنهم خالفوا هذا الأمر ، ونكثوا هذا العهد بأذاهم أهل البيت بعد النبي صلى الله عليه وسلم .. »

والذي لا شك فيه أن ميول المقريزي إلى أهل البيت كانت واضحة ، ولكنها لم تخرجه عن النصفة، والعدالة ؛ وهو يعرض لقضية من قضاياهم الكثيرة فإنه لم يبن حكماً أبرمه في شيء من ذلك إلا على اساس من قوانين العلم ، وأدلة المنطق .

وبعد : فإن هذا الكتاب دليل واضح على تمتع المقريزي بعقلية علمية منظمة استطاعت أن تجمع كمية من الشعاعات المتفرقة هنا وهناك، وأن يكوّن منها في براعة واستيعاب حزمة من الضوء بهرت منا الأبصار .

محمد أحمد عاشور

بيروت في ١١ شعبان ١٣٩٢
١٩ سبتمبر ١٩٧٢

* * *

منهج التحقيق

كان اعتمادنا في إخراج هذا الكتاب على مصورتين :

النسخة الأولى عثرنا عليها بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٦٢٤٧ تاريخ ضمن مجموعة رسائل للمؤلف عدد أوراقها ٢٠١ ورقة . ويبدأ كتابنا فيها من صفحة ١٢٨ وينتهي إلى ١٤٢ وعدد سطورها ٢٥ سطراً من الحجم المتوسط مكتوبة بالخط الفارسي الواضح ، وقد نقلت هذه النسخة عن مخطوطة المكتبة الوليدية بالإستانة ، والمسجلة تحت رقم ٣١٩٥ نسخها محمد القطري خطيب جامع المرحوم مصطفى باشا الوزير بثغر جدة سنة ١١٠١ هـ وقد رمزنا لهذه النسخة بحرف «ق» .

أما النسخة الثانية فقد عثرنا عليها في مكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية تحت رقم ٢٣١٠ ب وهي مصورة عن نسخة المكتبة الأهلية بباريس وتقع أيضاً ضمن مجموعة رسائل للمؤلف وعدد أوراقها ٢٦٦ ورقة يبدأ كتابنا فيها من ١٦٩ وينتهي إلى ١٨٩ وعدد سطورها ٢٥ سطراً مكتوبة بالخط النسخي، ويرجع تاريخ نسخها إلى القرن الثاني عشر الهجري ، وقد رمزنا لهذه النسخة بحرف «س» .

هذا وقد وثقنا نصوص المخطوطة بالرجوع إلى مصادرها

التي اعتمد عليها المؤلف ، واشار إلى كثير منها .. كما خرجنا الأحاديث والآثار التي وردت بها ، وشرحنا ما فيها من غريب الألفاظ ، وعرفنابما فيها من أعلام .

والله نسأل أن يلهمنا الاخلاص في العمل ، وأن يجعلنا من خدمة العلم وأهاه، وأن يسدد خطانا إلى أقوم طريق، إنه أكرم مسئول ، وأعظم مأمول .

* * *

مقدمة المؤلـــف

الحمد لله حق حمده ، وصلى الله على محمد رسوله وعبده ، وآله وصحبه ، وأتباعه وجنده .

وبعد ؛ فإني لما رأيت أكثر الناس في حق آل البيت مقصرين ، وعَمّاً لَهمْ من الحق مُعْرِضين ، ولمقدارهم مضيّعين ، وبمكانتهم من الله تعالى جاهلين ، أحببت أن أقيد في ذلك نبذة تدل على عظيم مقدارهم ، وترشد المتقي لله تعالى على جليل أقدارهم ؛ ليقف عند حده ، ويصدق بما وعدهم الله ومَنّ [به][1] عليهم مِنْ صادِق وعْدِهِ .

والله [سبحانه][1] أسأل الهداية ، وأعوذ به من الضلال والغواية ، إنه قريب مجيب .

---

(١) سقط من «س» .

١

** قال الله تعالى : ﴿ إنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ، ويُطَهِّرَكُم تَطْهِيراً ﴾[١]

قال الأستاذ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده[٢]. رحمه الله : الرِّجْس: القَذر . قال ابن دُرَيْد : رجل مَرْجُوسٌ ورِجْسٌ: نَجِسٌ [ورجِسٌ : نَجِس][٣] وأحسبهم قد قالوا : رجَسٌ نَجَسٌ، وهي الرَّجَاسَةُ والنَّجاسة ، والرِّجْس : العذاب، كالرِّجْز ، ورِجْسُ الشيطان : وسوسته.

وقال الإمام أبو جعفر محمد بن جَرِير الطبري، رحمه الله[٤]: « يقول الله تعالى: ﴿ إنَّما يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٣ .

(٢) هو أبو الحسن بن سيده علي بن اسماعيل المرسي صاحب « المحكم » في اللغة ، كان رأساً في العربية حجة في نقلها، وله كتاب «المخصص» في اللغة أيضاً وشرح « الحماسة » . توفي سنة ٤٥٨ هـ . انظر « شذرات الذهب في اخبار من ذهب » لعبد الحي بن العماد :٣/٣٠٥،٣٠٦ .

(٣) ما بين القوسين عن «المخصص» : ٤/١١٨ وفي الأصل تقديم وتأخير .

(٤) انظر : «كتاب جامع البيان في تأويل آي القرآن » : ٢٢/٥ .

عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ أي السوء، والفحشاء يا أهل بيت محمد، ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيراً.

وذكر بسنده عن [سعيد عن] [١] قتادة قوله: ﴿إنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فهم أهل بيتٍ طهرهم الله من السوء، وخصهم برحمته منه.

وعن ابن وهب قال نقلاً عن [ابن] [٢] زيد قال: الرجس هاهنا الشيطان، وسوى ذلك من الرجس: الشرك [٣].

واختلف أهل التأويل في الذين عُنُوا بقوله: (أَهْلَ البَيْتِ) فقال بعضهم: عُنِي به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وعليٌّ، وفاطمة، والحسن، والحسين، رضي الله عنهم، ثم ذكر من حديث مَنْدَل عن الأعمش عن عطية، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [١٢٩/١] «نزلت هذه الآية في خمسة: فيَّ وفي علي، وحسن، وحسين، وفاطمة: ﴿إنما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ

(١) في «ق»: «عن سعيد بن قتادة» والمثبت عن الطبري: ٥/٢٢.
(٢) في «س» و«ق»: «عن زيد» والمثبت عن المصدر السابق.
(٣) في «س»، «ق»: «الشر» والمثبت عن المصدر السابق.

البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [١].

ومن حديث زكريا عن مُصْعَب بن شيبة عن صفية بنت [٢] شيبة قالت: قالت عائشة رضي الله عنها: خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم غَدَاة، وعليه مِرْطٌ مُرَحَّل [٣] من شعر أسود، فجاء الحسن، فأدخله معه، ثم قال: ﴿إنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ، ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [١].

ومن حديث حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أنس، رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمر ببيت فاطمة [عليها السلام] [٤] ستة أشهر كلما خرج إلى الصلاة فيقول: «الصلاة أهل البيت ﴿إنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [٥].

ومن حديث زيد، عن شَهْر بن حَوْشَب، عن أم

(١) انظر تفسير الطبري: ٥/٢٢.
(٢) في «س»، «ق»: «ابنة» والمثبت عن الطبري.
(٣) المرط المرحل: كساء من صوف، أو من خز عليه تصاوير الرحال.
(٤) ساقطة من الطبري.
(٥) اخرجه الترمذي: انظر تحفة الاحوذي تفسير سورة الأحزاب الحديث ٣٢٥٩/٩/٦٧، ٦٨. هذا والفقرة من أول قوله: «ومن حديث زكريا» الى قوله: «تطهيرا» ساقطة من «س» والمثبت عن «ق».

سلمة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم عندي وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، فجعلت لهم خَزِيرةً[1] فأكلوا، وناموا، وغطى عليهم كساء، أوقطيفة، ثم قال: «اللَّهُمَّ هَؤُلاءِ أهْلُ بَيْتِي أذْهِبْ عنهم الرِّجس، وطهِّرْهم تَطْهِيراً»[2].

ومن حديث يونس بن أبي اسحاق[3] قال: أخبرني أبو داود، عن أبي الحمراء قال: رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي، وفاطمة، رضي الله عنهما فقال: الصلاة [الصلاة][4] ﴿إنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[5].

ومن حديث أبي نعيم الفضل بن دكين قال: حدثنا عبد السلام بن حرب، عن كلثوم المحاربي، عن أبي عمار قال:

(١) الخزيرة، والخزير: اللحم يؤخذ فيقطع قطعاً صغيرة ثم يطبخ ويذر عليه الدقيق، ولا تكون الخزيرة إلا وفيها لحم، فإذا لم يكن فيها لحم فهي العصيدة. انظر اللسان مادة: خزر.

(٢) تفسير الطبري: ٢٢/٦.

(٣) في «س»: ومن حديث ابن إسحاق.

(٤) ساقطة من «س» و «ق» والمثبت عن الطبري.

(٥) تفسير الطبري: ٢٢/٦.

إني لجالس عند واثلة بن الأسقع إذ ذكروا[1] علياً، رضي الله عنه فشتموه، فلما قاموا[2] قال: اجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شتموه؛ اني عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه علي، وفاطمة، وحسن، وحسين، فألقى عليهم كساءً له، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً» قلت يا رسول الله وأنا؟ [١٢٩/ ب] قال: «وأنت». قال: فوالله إنها لمن أوثق عمل عندي[3].

ومن حديث الوليد بن مسلم قال: حدثنا ابن عمرو[4] قال: حدثني شَدَّاد أبوعمار قال: سمعت واثلة بن الأسقع يحدث قال: [سألت][5] عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، في منزله؟ فقالت فاطمة، رضي الله عنها: قد ذهب يأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ جاء، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودخَلْتُ فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفراش، وأجلس فاطمة عن يمينه وعلياً عن يساره، وحسناً، وحسيناً، رضوان الله عليهم، بين

(١) في «س» و «ق»: وذكروا» والمثبت عن الطبري.

(٢) في «س» و «ق»: «فلما قام» والمثبت عن الطبري.

(٣) تفسير الطبري: ٢٢/٦.

(٤) في الطبري: ابو عمرو..

(٥) ساقطة من «ق».

يديه ، فلفع عليهم بثوبه ، وقال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ . اللهم هؤلاء أهلي ، [اللهم أهلي][1] أحق » قال واثلة : فقلت من ناحية البيت : وأنا يا رسول الله من أهلك ؟ قال : « وأنت من أهلي » . قال واثلة : إنها لمن أرجى ما أرتجي[2] .

ومن حديث وكيع ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شَهْر بن حَوْشَب [عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري][3] عن أم سلمة ، رضي الله عنها ، قالت : لما نزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ . دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً ، وفاطمة ، وحسناً ، وحسيناً فَجَلَّل عليهم[4] بكساء خَيْبَرِيّ[5] وقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » . قالت أم سلمة : ألستُ منهم ؟ قال : « أنت إلى خير »[6] .

(١) سقط من «ق» والمثبت عن «س» والطبري .
(٢) مسند الإمام أحمد : ٤ /١٠٧ وانظر مجمع الزوائد : ١٦٧/٩ .
(٣) هذه الفقرة سقطت من «س» و «ق» والمثبت عن الطبري .
(٤) جلّل عليهم : غطاهم .
(٥) نسبة إلى خيبر .
(٦) تفسير الطبري : ٧/٢٢ .

ومن حديث سعيد بن زَرْبِي ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن أم سلمة رضي الله عنها ، قالت : جاءت فاطمة ، رضي الله عنها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بِبُرْمَةٍ لها قد صنعت فيها عصيدة تحملها على طبق ، فوضعتها[1] بين يديه ، فقال : أين ابن عمك ، وابناك؟ فقالت : في البيت . فقال : ادعيهم فجاءت علياً فقالت : أجب النبي صلى الله عليه وسلم أنت وابناك . قالت أم سلمة : فلما رآهم مقبلين مد يده إلى كساء كان على المنامة ، فمده ، وبسطه ، فأجلسهم عليه ، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله فضمه فوق رءوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربه [تعالى ذكره][2] [١/١٣٠] . ثم قال : اللهم هؤلاء أهل البيت ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً »[3] .

ومن حديث ابن مرزوق ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أن هذه الآية نزلت في بيتها : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ قالت : وأنا جالسة على باب البيت ، فقلت : أنا يا رسول الله ألست من أهل

(١) في الطبري : فوضعته .
(٢) زيادة ليست في الطبري .
(٣) تفسير الطبري : ٧/٢٢ .

يديه ، فلفع عليهم بثوبه ، وقال : ﴿ إنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ ، ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ . اللهم هؤلاء أهلي ، [اللهم أهلي] [١] أحق » قال واثلة : فقلت من ناحية البيت : وأنا يا رسول الله من أهلك ؟ قال : « وأنت من أهلي » . قال واثلة : إنها لمن أرجى ما أرتجي [٢] .

ومن حديث وكيع ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شَهْر بن حَوْشَب [عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري] [٣] عن أم سلمة ، رضي الله عنها ، قالت: لما نزلت هذه الآية : ﴿ إنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ . دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً ، وفاطمة ، وحسناً ، وحسيناً فَجَلَّل عليهم [٤] بكساء خَيْبَرِيّ [٥] وقال: « اللهم هؤلاء أهل بيتي ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » . قالت أم سلمة : ألستُ منهم ؟ قال : « أنت إلى خير » [٦] .

(١) سقط من «ق» والمثبت عن «س» والطبري .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٤ /١٠٧ وانظر مجمع الزوائد : ٩/١٦٧ .

(٣) هذه الفقرة سقطت من «س» و «ق» والمثبت عن الطبري .

(٤) جلّل عليهم : غطاهم .

(٥) نسبة إلى خيبر .

(٦) تفسير الطبري : ٧/٢٢ .

ومن حديث سعيد بن زَرْبِيّ ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن أم سلمة رضي الله عنها ، قالت : جاءت فاطمة ، رضي الله عنها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بِبُرْمَةٍ لها قد صنعت فيها عصيدة تحملها على طبق ، فوضعتها [١] بين يديه ، فقال: أين ابن عمك ، وابناك؟ فقالت : في البيت . فقال : ادعيهم فجاءت علياً فقالت : أجب النبي صلى الله عليه وسلم أنت وابناك. قالت أم سلمة : فلما رآهم مقبلين مد يده إلى كساء كان على المنامة ، فمده ، وبسطه ، فأجلسهم عليه ، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله فضمه فوق رءوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربه [تعالى ذكره] [٢] [١/١٣٠] . ثم قال : اللهم هؤلاء أهل البيت ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » [٣] .

ومن حديث ابن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد ، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم؛ أن هذه الآية نزلت في بيتها: ﴿ إنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ قالت : وأنا جالسة على باب البيت ، فقلت: أنا يا رسول الله ألست من أهل

(١) في الطبري : فوضعته .

(٢) زيادة ليست في الطبري .

(٣) تفسير الطبري : ٧/٢٢ .

البيت ؟ قال : إنك إلى خير ، أنت من أزواج النبي . قالت : وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم [وعلي] وفاطمة ، والحسن والحسين [رضي الله عنهم] [1] .

ومن حديث هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، عن عبد الله بن وهب بن زَمْعَةَ قال: أخبرتني أم سلمة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع فاطمة ، والحسن، والحسين، رضي الله عنهم، ثم أدخلهم تحت ثوبه ، ثم جأر الى الله تعالى وقال : « « هؤلاء أهل بيتي . فقالت أم سلمة : يا رسول الله أدخلني معهم : قال: إنك من أهلي » [2] .

ومن حديث. محمد بن سليمان [بن] [3] الأصبهاني ، عن يحيى بن عبيد المكي عن عطاء [بن أبي رباح] [3] عن عمر ابن أبي سلمة [ربيب النبي صلى الله عليه وسلم] [3] قال: نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو في بيت أم سلمة: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾، فدعا حسناً ، وحسيناً ، وفاطمة فأجلسهم بين يديه ، ودعا علياً فأجلسه خلفه ، فتجلل هو وهم بالكساء ، ثم قال: « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجسَ وطهرهم تطهيراً » قالت أم

(١) تفسير الطبري : ٧/٢٢ .
(٢) انظر تفسير الطبري: ٧/٢٢ ، وتحفة الأحوذي : ٦٦/٩ .
(٣) سقطت من «ق» و «س» والمثبت عن تحفة الاحوذي .

سلمة : أنا معهم ؟ قال : أنت على مكانك ، وأنت على خير » [1] .

ومن طريق السُدّي ، عن أبي الدَّيْلَم قال : قال علي بن الحسين ، رحمه الله ، لرجل من أهل الشام : أما قرأت في الأحزاب : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾؟ قال : ولأنتم هم ؟!! قال : نعم [2] .

ومن حديث بكير بن أسماء [3] قال : سمعت عامر بن سعد قال : قال سعد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه الوحي، فأخذ علياً ، وابنيه، وفاطمة، فأدخلهم تحت ثوبه ، ثم قال : « رب هؤلاء أهلي ، وأهل بيتي » [4] .

ومن حديث [١٣٠/ ب] عبد الله بن عبد القدوس عن [الأعمش عن] [5] حكيم بن سعد قال : ذكرنا علي بن أبي طالب عند أم سلمة رضي الله عنها فقالت : في بيتي نزلت : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ . قالت ام سلمة :

(١) انظر الطبري : ٧/ ٢٢ ، وتحفة الأحوذي كتاب التفسير : ٦٦/٩ .
(٢) تفسير الطبري : ٨/٢٢ .
(٣) في الطبري : بن مسمار .
(٤) تفسير الطبري : ٨/٢٢ .
(٥) سقطت من «ق» والمثبت عن «س» والطبري .

جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيتي فقال : لا تأذني لأحد . فجاءت فاطمة ، رضي الله عنها ، فلم استطع أن أحجبها عن أبيها ، ثم جاء الحسن ، رضي الله عنه ، فلم استطع أن أمنعه أن يدخل على جده وأمه ، ثم جاء الحسين فلم استطع أن أحجبه ، فاجتمعوا حول النبي صلى الله عليه وسلم على بساط فجللهم النبي صلى الله عليه وسلم بكساء كان عليه ، ثم قال : هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط قالت [أم سلمة][1] فقلت : يا رسول الله، وأنا ؟ قالت : فوالله ما أنعم[2] وقال : إنك إلى خير[3] .

وقال آخرون : بل عنى بذلك أزواج النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر من طريق الأصْبَغ عن[4] علقمة قال : كان عمر رضي الله عنه ينادي في السوق: ﴿إنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. قال : نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة[5] .

* * *

(١) سقطت من الطبري .

(٢) أي : ما قال : نعم .

(٣) تفسير الطبري : ٢٢/ ٨ .

(٤) في «ق» : الأصبغ بن علقمة ، والمثبت عن الطبري، وقد سقطت كلمة « ابن علقمة » من «س» .

(٥) تفسير الطبري : ٢٢/ ٨ .

وقال العلامة أبو محمد بن عطية[1] :

والرجس اسم يقع على الإثم وعلى العذاب ، وعلى النجاسات والنقائص ، فأذهب الله تعالى جميع ذلك عن أهـــل البيت [ونصب أهل البيت][2] على المدح ، أو على النداء للمضاف أو بإضمار : أعني .

واختلف الناس في أهل البيت مَنْ هم ؟ فقال عكرمة ، ومقاتل ، وابن عباس رضي الله عنهم : هم زوجاته خاصة [لا يدخل معهن رجـــل][4] وذهبوا إلى أن البيت أريـــد به مساكن النبي صلى الله عليه وسلم.

قال أبو سعيد الخدري ، رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نزلت هذه الآية في خمسة : فِيَّ ، وفي علي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين »[5] .

(١) هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المتوفي سنة ٤٥٦ هـ وقد نقل المقريزي هذا النص من كتابه : « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » ومنه عدة نسخ مصورة بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم ٢٢٨ تفسير . انظر : الجزء الرابع/ورقة ٣ /ب ، ٤ /أ .

(٢) سقطت من «س» و «ق» والمثبت عن تفسير ابن عطية .

(٣) في «س» و «ق» : لارحل معهن .

(٤) عبارة ابن عطية : « وذهبوا إلى أن أهل البيت أهل مساكن النبي ، والذي عليه الجمهور [أن] أهل البيت علي وفاطمة والحسن والحسين وفي هذا أحاديث نبوية قال أبو سعيد الخدري ... »

(٥) تفسير الطبري : ٢٢ / ٥ .

ومن حجة الجمهور قوله : « عنكم » ، و « يطهركم » بالميم ، ولو كان للنساء خاصة لكان « عنكن » . قال ابن عطية : والذي يظهر [لي][1] أن زوجاته لا يخرجن عن ذلك ألبتة ، فأهل البيت : زوجاته ، وبنته ، [وبنوها][2] وزوجها وهذه [١٣١/١] الآية تقتضي أن الزوجات من أهل البيت ، لأن الآية فيهن ، والمخاطبة لهن . أما [أن][3] أم سلمة ، رضي الله عنها ، قالت : نزلت هذه الآية في بيتي ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً ، وفاطمة ، وحسناً ، وحسيناً ، فدخل معهم تحت كساء خيبري ، وقال : هؤلاء أهل بيتي ، وقرأ الآية، وقال: اللهم أذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً . قالت ام سلمة : فقلت : وأنا يا رسول الله ؟ فقال : انت من ازواجي[4] ، وأنت إلى خير .

وقال الثعلبي[5] : قيل: هم بنو هاشم — فهذا على أن البيت يراد به بيت النسب، فيكون العباس وأعمامه [وبنــو

(١) سقطت من «س» .
(٢) في «ق» : «وبنوه» والمثبت عن «س» .
(٣) ساقطة من «ق» .
(٤) في تفسير ابن عطية : « أنت من أزواج النبي » .
(٥) الثعلبي : هو أبو اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي — أو الثعالبي — النيسابوري ، كان أوحد زمانه في علم التفسير توفي سنة ٤٢٧ هـ انظر وفيات الاعيان : ترجمة رقم ٣٠ /٦١/ ٦٢ .

أعمامه][1] منهم .

وروى نحوه عن زيد بن أرقم ، رضي الله عنه .

* * *

وقال الشيخ أبو العباس أحمد بن عمر بن ابراهيم القرطبي[2] ﴿ إنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ ﴾ . قال الزجاج. قيل يراد به نساء النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل يراد به نساؤه، وأهله الذين هم أهل بيته، وأهل [البيت][3] : نصب على المدح . قال : وإن شئت على البدل قال : ويجوز الرفع والخفض. قال النحاس : إن خفض على أنه بدل من الكاف والميم لم يجز عنـد ابي العباس محمد بن يزيد قال: لا يبدل من المخاطَب ، ولا من المخاطِب لأنهما لا يحتاجان الى تبيين: ﴿ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ مصدر فيه معنى التوكيد.

قوله: ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ والحِكْمَةِ[4] ﴾ هذه الألفاظ تعطي أن أهل البيت نســاؤه .

وقد اختلف أهل العلم في أهــل البيت مَنْ هم ؟

(١) سقط من «س» .
(٢) انظر تفسير القرطبي : ١٤ /١٨٢ .
(٣) سقطت من «ق» و «س» والمثبت عن القرطبي .
(٤) سورة الأحزاب ، آية : ٣٤ .

فقال عطاء، وعكرمة وابن عباس : هم زوجاته خاصة لا رجل معهن، وذهبوا إلى أن البيت أريد به مساكن النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى :﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ .

وقال فرقة منهم الكلبي : هم علي وفاطمة والحسن ، والحسين خاصة، وفي هذا أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، واحتجوا بقوله تعالى :﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ بالميم ، ولو كان للنساء خاصة لكان: « عنكن » و « يطهركن » إلا أنه يحتمل أن يكون خرج على لفظ الأهل، يقول الرجل لصاحبه : كيف أهلك؟ أي امرأتك ، ونساؤك فيقول : هم بخير . قال الله تعالى:﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ [١٣١/ب] عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[١] .

[والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت][٢] من الأزواج وغيرهم ، وإنما قال :﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلياً ، وحسناً ، وحسيناً كانوا فيهم ، واذا اجتمع المذكر ، والمؤنث غُلِّب المذكر ، فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت ؛ لأن

---

(١) سورة هود ، آية : ٧٣ .

(٢) هذه الفقرة سقطت من «س» .

الآية فيهن ، والمخاطبة لهن ، يدل عليه سياق الكلام ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

أما أن أم سلمة رضي الله عنها قالت : نزلت هذه الآية في بيتي ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً ، وفاطمة وحسناً ، وحسيناً ، فدخل معهم تحت[١] كساء خيبري ، وقال : هؤلاء أهل بيتي ، وقرأ الآية ، وقال : اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، فقالت أم سلمة : وأنا معهم يا نبي الله ؟ قال : أنت على مكانك ، وأنت على خير » أخرجة الترمذي[٢] وغيره[٣] وقال : هذا حديث غريب، وفي رواية : وقالت أم سلمة : أدخلت رأسي في الكساء وقلت : وأنا منهم [يا رسول الله ؟][٤] قال : نعم .

* * *

وقال الثعلبي : هم بنو هاشم .. فهذا يدل على أن البيت يراد به بيت النسب ، فيكون العباس ، وأعمامه وبنو أعمامه منهم .

وروى نحوه عن زيد بن أرقم .

وعلى قول الكلبي يكون قوله: (وَاذْكُرْنَ) [ابتداء مخاطبة الله تعالى ، أي مخاطبة أمر الله تعالى أزواج النبي ﷺ

---

(١) في «س» و «ق» : « في » بدل : « تحت » والمثبت عن القرطبي .

(٢) انظر تحفة الأحوذي أبواب التفسير : ٩/ ٦٦، ٦٧ .

(٣) انظر مسند الإمام أحمد : ٦/ ٢٩٢، ٢٩٦ .

(٤) زائدة في القرطبي .

على جهة الموعظة ، وتعديد النعمة بذكر][1] ما يتلى في بيوتكن من آيات الله تعالى والحكمة . قال أهل العلم بالتأويل : آيات الله : القرآن ، والحكمة : السنة .

والصحيح أن قوله: ﴿واذْكُرْنَ﴾ منسوق على ما قبله، وقال: ﴿عَنْكُمْ﴾ كقوله: ﴿أَهْلَ﴾ فالأهل مذكر، فسماهن ــ وإن كن إناثاً ــ باسم التذكير ، فلذلك صار (عَنْكُمْ)، ولا اعتبار بقول الكلبي وأشباهه فإنه توجد له أشياء من هذا التفسير ما [لو] كان في زمن السلف الصالح لمنعوه [من ذلك] وحجروا عليه؛ فالآيات كلها من قوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ﴾ إلى قوله : ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾[2] منسوق بعضها على بعض ، فكيف صار في الوسط كلام منفصل لغيرهن؟ وإنما هذا شيء جرى في الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية دعا علياً[3] وفاطمة ، والحسن، والحسين، رضي الله عنهم، فعمد النبي صلى الله عليه وسلم إلى كساء فلفها عليهم، ثم ألْوَى[4] بيده إلى السماء فقال: « اللهم هؤلاء أهل بيتي[5] اللهم أذهب عنهم الرجس

(١) سقطت هذه الفقرة من «ق» والمثبت عن «س» والقرطبي .

(٢) سورة الاحزاب ، الآيات من : ٢٨ إلى ٣٤ .

(٣) في «س» و «ق» : دخل عليه علي . والمثبت عن القرطبي : ١٤/ ١٨٤ .

(٤) ألوى بيده : أشار .

(٥) في «س» ، «ق» : اللهم هؤلاء أهني ، والمثبت عن القرطبي .

وطهرهم تطهيرا »[1] فهذه دعوة رسول الله [١٣٢/ ا] صلى الله عليه وسلم بعد نزول الآية أحب أن يدخلهم في الآية التي خوطب بها [الأزواج][2] ؛ فذهب الكلبي وطائفة[3] أنها لهم خاصة، وإنما هي دعوة لهم خارجة عن[4] التنزيل والله أعلــم .

* * *

وقال العلامة نجم الدين سليمان بن عبد القوى بن عبد الكريم الطوفي[5] في كتاب « الإشارات الإلهية في المباحث الأصولية »[6]. « قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾

(١) انظر مسند الإمام احمد : ٦/ ٢٩٢ .

(٢) سقطت من «س» و «ق» والمثبت عن «القرطبي» .

(٣) عبارة القرطبي : « فذهب الكلبي ومن وافقه فصيرها لهم خاصة ، وهي دعوة .. » .

(٤) في القرطبي : « خارجه من » .

(٥) هو سليمان بن عبد القوي المعروف بابن أبي عباس الطوفي . ولد سنة ٦٥٧ هـ ، وأصله من طوف قرية ببغداد ، قدم الشام ، وأقام بمصر مدة ، وشارك في مختلف الفنون ، وله مصنفات فيها . توفي بمدينة الخليل سنة ٧١٦ هـ انظر «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » لابن حجر : ٢/ ٢٤٩/ ٢٥٢.

(٦) هذا الكتاب مخطوط وتوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٨٧ تفسير . انظر ورقة رقم ١٦٠، ١٦١، كما توجد نسخة مصورة في معهد المخطوطات بالجامعة العربية تحت رقم ٨ تفسير

احتج بها الشيعة على أن أهل البيت معصومون، ثم على أن إجماعهم حجة؛ أما أنهم معصومون(١) فلأنهم طُهِّرُوا، وأذهب الرجس عنهم، وكل من كان كذلك فهو معصوم.

أما الأولى فلنص هذه الآية.

وأما الثانية فلأن الرجس اسم جامع لكل شر، ونقص، والخطأ، وعدم العصمة بالجملة(٢) شر ونقص، فيكون ذلك مندرجاً تحت عموم الرجس الذاهب عنهم، فتكون الإصابة في القول، والفعل، والاعتقاد؛ والعصمة بالجملة ثابتة لهم، وايضاً فلأن الله عزَّ وجل طهرهم، وأكد تطهيرهم بالمصدر حيث قال: ﴿ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ أي ويطهركم من الرجس وغيره تطهيراً إذ هي تقتضي عموم تطهيرهم [من كل ما](٣) ينبغي التطهير منه عرفاً، أو عقلاً، أو شرعاً، والخطأ وعدم العصمة داخل تحت ذلك، فيكونون مطهرين منه، ويلزم من ذلك عموم إصابتهم، وعصمتهم.

ثم أكدوا دليل عصمتهم من الكتاب والسنة في عليٍّ رضي الله عنه [وحده](٤)، وفي فاطمة عليها السلام وحدها وفي جميعهم؛ أما دليل العصمة في علي رضي الله عنه فلما ثبت أن

(١) في «ق»: «إما لأنهم» والمثبت عن «س» و «الإشارات»

(٢) في «ق»: «والجهالة». والمثبت عن «س» و «الإشارات».

(٣) في «ق»: «مما ينبغي» والمثبت عن «س».

(٤) سقطت من «ق»، والمثبت عن «س» و «الإشارات».

النبي صلى الله عليه وسلم لما أرسله إلى اليمن قاضياً قال: يا رسول الله: كيف تبعثني قاضياً ولا علم لي بالقضاء؟ قال: [اذهب](١) فإن الله سيهدي قلبك، ويسدد لسانك، ثم ضرب صدره وقال: اللهم اهد قلبه وسدد لسانه»(٢). قالوا: قد دعا له بهداية القلب، وسداد اللسان، وأخبره بأن سيكونان له، ودعاؤه مستجاب، وخبره حق وصدق، ونحن لا نعني بالعصمة إلا هداية القلب للحق، ونطق اللسان بالصدق؛ فمن كان عنده للعصمة معنى غير هذا أو ما يلازمه فليذكره.

وأما دليل العصمة في فاطمة رضي الله عنها [١٣٢/ ب] فقوله صلى الله عليه وسلم: «فاطمة بَضْعَةٌ مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها»(٣) والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم، فبضعته – أي جزؤه، والقطعة منه يجب أن تكون معصومة.

وأما دليل العصمة في جميعهم – أعني علياً، وفاطمة، وولديهما

(١) ساقطة من «س».

(٢) انظر مسند أحمد: ١/ ١١١، ١٤٩.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم: ٥/ ٢٨ وباب مناقب فاطمة عليها السلام: ٥/ ٣٦، وكتاب النكاح باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف: ٧/ ٤٧. ومسلم كتاب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام ٧/ ١٤٠–١٤٣.

فلقوله صلى الله عليه وسلم : « اني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، وانهما لن يفترقا[1] حتى يردا عليّ الحوض » رواه الترمذي[2] .

ووجه دلالته أنه لازَمَ بين أهل بيته ، والقرآن المعصوم ، وما لازم المعصوم فهو معصوم . قالوا : وإذا ثبت عصمة أهل البيت وجب أن يكون إجماعهم[3] حجة لامتناع الخطأ ، والرجس عليهم بشهادة السمع المعصوم ، وإلا لزم وقوع الخطأ فيه، وأنه محال .

واعترض الجمهور بأن قالوا : لا نسلم أن أهل البيت في الآية من ذكرتم بل هم نساء النبي صلى الله بدليل سياقها وانتظام ما استدللتم به معه ، فإن الله تعالى قال : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ ﴾[4] الآية . ثم استطردها إلى أن قال: ﴿ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ ، وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ

(١) في « الإشارات » : يتفرقا .
(٢) انظر تحفة الأحوذي ، أبواب المناقب ، باب مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم الحديث : ٣٨٧٤، ٣٨٧٦/ ١٠/ ٢٨٧–٢٩٠ .
(٣) في «ق» : « اجتماعهم » والمثبت عن «س» ، و «الإشارات» .
(٤) سورة الأحزاب : ٣٢ .

الله والحكمة ﴾ الآية . فخطاب نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، مكتنفاً لذكر أهل البيت قبله ، وبعده منتظم له ، فاقتضى أنهن المراد به ، وحينئذ لا يكون لكم في الآية متعلق أصلاً ، ويسقط الاستدلال بها بالكلية.. سلمناه؛ لكن لا نسلم أن المراد بالرجس ما ذكرتم ، بل المراد به رجس الكفر ، أو نحوه من المسميات الخاصة .

وأما ما أكدتم به عصمتهم من السنة فأخبار آحاد لا تقولون بها ، مع أن دلالتها ضعيفة .

وأجاب الشيعة بأن قالوا: الدليل على أن أهل البيت في الآية [هم] [1] من ذكرنا : النص والإجماع ؛ أما النص فما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه بقي بعد نزول هذه الآية ستة أشهر يمر وقت صلاة الفجر على بيت فاطمة رضي الله عنها [١٣٣/ا] فينادي الصلاة يا أهل البيت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ . رواه الترمذي وغيره[2] وهو تفسير منه لأهل البيت بفاطمة ومَنْ في بيتها وهو نص، وأنَصُّ منه حديث أم سلمة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم أرسل خلف عليّ وفاطمة وولديهما – رضي الله عنهم– فجاءوا فأدخلهم

(١) زائدة في «الإشارات» .
(٢) انظر « تحفة الأحوذي » تفسير سورة الأحزاب الحديث : ٣٢٥٩ : ٩/ ٦٧/ ٦٨ ، و « مسند أحمد » ٣/ ٢٥٩، ٢٨٥ .

تحت الكساء ثم جعل يقول : « اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي ، اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي — وفي رواية حامّتي[1] — اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . قالت أم سلمة فقلت يا رسول الله ، ألست من أهل بيتك ؟ قال : أنت إلى خير » . رواه أحمد[2] وهو نص في أهل البيت ، وظاهر في أن نساءه لسن منهم لقوله لأم سلمة : « أنت إلى خير » ولم يقل : « بلى أنت منهم » .

وأما الإجماع فلأن الأمة اتفقت على أن لفظ أهل البيت إذا أطلق إنما ينصرف إلى من ذكرناه دون النساء [ولو][3] لم يكن إلا شهرته فيهم كفى .

وإذا ثبت مما ذكرناه من النص والإجماع أن أهل البيت عليّ وزوجته وولداه فما استدللتم به من سياق الآية ، ونظمه على خلافه لا يعارضه لأنه مجمل يحتمل الأمرين، وقصاراه أنه ظاهر فيما ادعيتم لكن الظاهر لا يعارض النص والإجماع ، ثم إن الكلام العربي يدخله الاستطراد والاعتراض ، وهو تخلل الجملة الأجنبية بين الكلام المنتظم المتناسب كقوله تعالى: ﴿ إنَّ المُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ، وجَعَلُوا أَعِزَّةَ

(١) حامة الإنسان : خاصته .

(٢) مسند أحمد : ٦/ ٢٩٢، ٢٩٨، ٣٠٤ .

(٣) ساقطة من «ق» والمثبت عن «س» .

أَهْلِهَا أَذِلَّةً ، وكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وإنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ ﴾[1] فقوله : ﴿ وكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ . جملة معترضة من جهة الله تعالى [بين][2] كلام بلقيس .

وقوله تعالى :﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وإنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إنَّهُ لَقُرْآنٌ ...﴾[3] أي فلا أقسم بمواقع النجوم. إنه لقرآن كريم، وما بينهما اعتراض [على اعتراض][4] وهو كثير في القرآن وغيره من كلام العرب[5] فلم لا يجوز أن يكون قوله تعالى: ﴿ إنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ ﴾ جملة معترضة متخللة لخطاب نساء النبي صلى الله عليه وسلم على هذا النهج [١٣٣/ ب] وحينئذ يضعف اعتراضكم .

وأما الرجس فإنما يجوز حمله على الكفر ، أو على مسمى خاص لو كان له معهود، ولكن لا معهود له ، فوجب حمله على عمومه إذ هو اسم جنس معرف باللام، وهو من أدوات العَموم .

وأما ما ذكرناه من أخبار الآحاد فإنمـا أكدنا به دليل

(١) سورة النمل ؛ آية : ٣٤، ٣٥ .

(٢) في «ق» : « وليس كلام بلقيس » والمثبت عن «س» .

(٣) سورة الواقعة ، آية : ٧٥–٧٧ .

(٤) ساقطة من «س» .

(٥) في «الإشارات» : « من الكلام العربي » .

الكتاب ، ثم هي لازمة لكم ، فنحن أوردناها إلزاماً لا استدلالاً .

قال الطوفي : واعلم أن الآية ليست نصاً ولا قاطعاً في عصمة آل البيت وانما قصاراها أنها ظاهرة في ذلك بطريق الاستدلال الذي حكيناه عنهم، والله أعلم .

* * *

وقال العارف محيي الدين ابو عبد الله محمد بن عربي[1] ، رحمه الله تعالى[2] : «كل عبد إلهي توجه لأحد عليه حق من المخلوقين فقد نقص من عبوديته لله تعالى بقدر ذلك الحق[3] فإن ذلك المخلوق يطلبه بحقه وله عليه سلطان به ، فلا يكون عبداً محضاً خالصاً لله تعالى، وهذا هو الذي رجح عند المنقطعين إلى الله انقطاعهم عن الخلق، ولزومهم السياحات، والبراري، والسواحل ، والفرار من النـــاس ، والخروج عن ملك الحيوان ؛ فانهم يريدون بذلك الحرية من جميع الأكوان .

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبداً محضاً قد طهره الله تعالى وأهل بيته تطهيراً ، وأذهب عنهم الرجس

(١) هو محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي الأندلسي ولد بمرسية سنة ٥٦٠ هـ ثم ارتحل وطاف بالبلاد الإسلامية وتوفي في ربيع الآخر سنة ٦٣٨هـ. انظر ترجمته في « شذرات الذهب» : ٥/١٩٠ — ١٠٢ .

(٢) انظر : « الفتوحات المكية » ١/ ١٩٦—١٩٨ .

(٣) في « ق» و «س» : « بذلك القدر » والمثبت عن «الفتوحات».

وهو كل ما يشينهم ؛ فإن الرجس هو القذر عند العرب كذا قال الفرّاء قال الله تعالى: ﴿ إنّما يُريدُ اللهُ ليُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾. فلا يضاف اليهم الا مُطَهَّر ولا بد ؛ فإن المضاف اليهم هو الذي يشبههم[1] ، فما يضيفون لأنفسهم إلا من له حكم الطهـــارة والتقديس . فهذه شهادة من النبي صلى الله عليه وسلم لسلمان الفارسي ، رضي الله عنه، بالطهارة والحفظ الإلهي والعصمة حيث قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سلمان منا أهل البيت »[2] وشهد الله لهم بالتطهير ، وذهاب الرجس عنهم، وإذا كان لا يضاف[3] إليهم إلا مقدس مطهر ، وحصلت له العناية الإلهية بمجرد الإضافة فما ظنك بأهل البيت في نفوسهم فهم المطهرون ؛ بل هم عين الطهارة.. فهذه الآية تدل على أن الله تبارك وتعالى قد شرك أهل البيت مع [١/١٣٤] رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ليَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ﴾[4] وأي وسخ وقذر أقذر من الذنوب وأوضح ؟!! فطهر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالمغفرة مما هو ذنب بالنسبة إلينا

(١) في «ق» : «يشينهم» والمثبت عن «الفتوحات المكية» .

(٢) انظر : «أسد الغابة» : ٢/ ٤٢١ . بتحقيقنا .

(٣) في «الفتوحات» : لا ينضاف .

(٤) سورة الفتح ، آية : ٢ .

الكتاب ، ثم هي لازمة لكم ، فنحن أوردناها إلزاماً لا استدلالاً .

قال الطوفي : واعلم أن الآية ليست نصاً ولا قاطعاً في عصمة آل البيت وانما قصاراها أنها ظاهرة في ذلك بطريق الاستدلال الذي حكيناه عنهم، والله أعلم .

* * *

وقال العارف محيي الدين ابو عبد الله محمد بن عربي[1] ، رحمه الله تعالى[2] : «كل عبد إلهي توجه لأحد عليه حق من المخلوقين فقد نقص من عبوديته لله تعالى بقدر ذلك الحق[3] فإن ذلك المخلوق يطلبه بحقه وله عليه سلطان به ، فلا يكون عبداً محضاً خالصاً لله تعالى، وهذا هو الذي رجح عند المنقطعين إلى الله انقطاعهم عن الخلق، ولزومهم السياحات، والبراري، والسواحل ، والفرار من النـــاس ، والخروج عن ملك الحيوان ؛ فانهم يريدون بذلك الحرية من جميع الأكوان .

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبداً محضاً قد طهره الله تعالى وأهل بيته تطهيراً ، وأذهب عنهم الرجس

---

(١) هو محيى الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي الأندلسي ولد بمرسية سنة ٥٦٠ هـ ثم ارتحل وطاف بالبلاد الإسلامية وتوفي في ربيع الآخر سنة ٦٣٨هـ. انظر ترجمته في « شذرات الذهب» : ١٩٠/٥ – ١٠٢ .

(٢) انظر : « الفتوحات المكية » ١/ ١٩٦–١٩٨ .

(٣) في «ق» و «س» : « بذلك القدر » والمثبت عن «الفتوحات».

وهو كل ما يشينهم ؛ فإن الرجس هو القذر عند العرب كذا قال الفرّاء قال الله تعالى: ﴿إنّما يُريدُ اللهُ ليُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. فلا يضاف اليهم الا مُطَهَّر ولا بد ؛ فإن المضاف اليهم هو الذي يشبههم[1] ، فما يضيفون لأنفسهم إلا من له حكم الطهـــارة والتقديس . فهذه شهادة من النبي صلى الله عليه وسلم لسلمان الفارسي ، رضي الله عنه، بالطهارة والحفظ الإلهي والعصمة حيث قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سلمان منا أهل البيت »[2] وشهد الله لهم بالتطهير ، وذهاب الرجس عنهم، وإذا كان لا يضاف[3] إليهم إلا مقدس مطهر ، وحصلت له العناية الإلهية بمجرد الإضافة فما ظنك بأهل البيت في نفوسهم فهم المطهرون ؛ بل هم عين الطهارة.. فهذه الآية تدل على أن الله تبارك وتعالى قد شرك أهل البيت مع [١٣٤/١] رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ليَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ﴾[4] وأي وسخ وقذر أقذر من الذنوب وأوضح ؟!! فطهر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالمغفرة مما هو ذنب بالنسبة إلينا

---

(١) في «ق» : «يشينهم» والمثبت عن «الفتوحات المكية» .

(٢) انظر : «أسد الغابة» : ٢/ ٤٢١ . بتحقيقنا .

(٣) في «الفتوحات» : لا ينضاف .

(٤) سورة الفتح ، آية : ٢ .

لو وقع منه صلى الله عليه وسلم لكان ذنباً في الصورة لا في المعنى ؛ لأن الذم لا يلحق به على ذلك من الله تعالى ولا منا شرعاً ؛ فلو كان حكمه حكم الذنب لَصَحِبَه ما يصحب الذنب من المذمة ، ولم يكن يصدق قوله : ﴿ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ فدخل الشرفاء أولاد فاطمة عليهم السلام كلهم [ومن هو من أهل البيت مثل سلمان الفارسي][1] إلى يوم القيامة في حكم هذه الآية من الغفران ، فهم المطهرون باختصاص من الله تعالى ، وعناية بهم لشرف محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وعناية الله سبحانه به ...[2].

فينبغي لكل مسلم [مؤمن بالله، وبما أنزله][1] أن يصدق الله تعالى في قوله : ﴿ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ فيعتقد في جميع ما يصدر [من أهل البيت][3] رضي الله عنهم أن الله تعالى قد عفا عنهم فيه .

ولا ينبغي لمسلم أن يلحق المذمة، ولا ما يشنأ أعراض من قد شهد الله تعالى بتطهيرهم وإذهاب الرجس لا بعمل عملوه ، ولا بخير قدموه بل سابق عناية واختصاص إلهي ﴿ ذلك

(١) سقطت من «ق» و «س» والمثبت عن «الفتوحات» .

(٢) اختصر المقريزي نص ابن عربي، فحذف بعض الفقرات .

(٣) في «ق» و «س» : «ما يصدر من أولاد فاطمة» والمثبت عن «الفتوحات»

فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ واللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ ﴾[1] .

وإذا صح الخبر الوارد في سلمان رضي الله عنه ، فله هذه الدرجة ؛ فإنه لو كان سلمان على أمر يشنؤه[2] الله وتلحقه المذمة من الله تعالى بلسان الذنب عليه[3] لكان مضافاً إلى أهل البيت من لم يذهب عنه الرجس ، فيكون لأهل البيت من ذلك بقدر ما أُضيف إليهم، وهم المطهرون بالنص ، فسلمان منهم بلا شك .

وإذا كانت مرتبة مخلوق عند الله بهذه المثابة أن يشرف المضاف إليهم بشرفهم، وشَرَفُهُم ليس لأنفسهم، وإنما الله تعالى هو الذي اجتباهم وكساهم حلل الشرف ؛ فكيف بمن له المجد والشرف التام لنفسه ، فهو المجيد سبحانه وتعالى ، فالمضاف إليه من عباده الذين هم عباده ، وهم الذين لا سلطان ولا مُلْك لمخلوق عليهم [في الآخرة قال تعالى لإبليس : ﴿ إن عبادي ﴾ فأضافهم إليه : ﴿ ليس لك عليهم سلطان ﴾ وما تجد في القرآن عباداً مضافين اليه سبحانه الا السعداء خاصة وجاء اللفظ في غيرهم بالعباد ، فما ظنك بالمعصومين

(١) سورة الحديد : آية : ٢١ .

(٢) يشنوه : يبغضه .

(٣) في الفتوحات : « أمر يشنؤه ظاهر الشرع وتلحق المذمة بعامله ... لكان مضافاً ... »

المحفوظين منهم][1] القائمين بحقوق سيدهم ، الواقفين عند مراسمه وحدوده ، فشرفهم أعلى ، وهؤلاء هم أقطاب هذا المقام [١٣٤/ ب] ومن هؤلاء الأقطاب ورث سلمان رضي الله عنه شرف مقام هذا البيت فكان، رضي الله عنه، من أعلم [الناس بما لله على عباده من الحقوق ، وما لأنفسهم والخلق عليهم من الحقوق] [2] وأقواهم على أدائها[3] وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كان الإيمان بالثريا لناله رجال من فارس، وأشار إلى سلمان الفارسي ، فَسِرُّ سلمان [الذي] ألحقه بأهل البيت مما أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من أداء كتابته فهو عتيقه صلى الله عليه وسلم ، ومولى القوم منهم .

وبعد أن تبين لك منزلة أهل البيت عند الله تعالى ، وأنه لا ينبغي لمسلم أن يذمهم [بما يقع منهم][4] أصلاً فإن الله تعالى طهرهم ؛ فليعلم الذام لهم أن ذلك يرجع إليه ، ولو ظلموه فذلك الظلم في زعمه [ظلم][4] لا في نفس الأمر [وإن حكم عليه ظاهر الشرع بأدائه][4] بل حكم ظلمهم إيانا [5]

---

(١) سقطت هذه الفقرة من «ق» و «س» والمثبت عن «الفتوحات المكية» .

(٢) سقطت من «ق» و «س» والمثبت عن «الفتوحات»

(٣) في «ق» : « على آدابها » . والمثبت عن « س » .

(٤) زائدة في «الفتوحات» .

(٥) في «س» و «ق» : « ينافي نفس الأمر » والمثبت عن «الفتوحات».

في نفس الأمر يشبه جري المقادير على العبد في ماله [ونفسه] بغرق [او بحرق وغير ذلك من الأمور المهلكة] [1] أو يقع في النار فيحترق أو يموت له أحد أحبابه ، أو يصاب هو في نفسه ، وهذا كله مما لا يوافق غرضه [ولا يجوز له أن يذم قدر الله ولا قضاءه][1] ولكن ينبغي أن يقابل ذلك كله بالرضا والتسليم، وإن نزل عن هذا المقام فبالصبر ، وإن ارتفع [عن تلك المرتبة][1] فبالشكر ؛ فإن في طي ذلك نعمة[2] من الله تعالى له وليس وراء ما ذكرناه خير ؛ فإنه ما وراءه إلا الضجر والتسخط ، ولذلك ينبغي أن يقابل المسلم جميع ما يطرأ عليه من [أهل البيت][3] رضى الله عنهم في ماله وفي أهله ، وفي عرضه وفي نفسه أن يقابله بالرضى والتسليم والصبر ، ولا يلحق بهم المذمة أصلاً ، وإن توجهت عليهم الأحكام الشرعية من إقامة الحدود المشروعة[4] ؛ فذلك لا يقدح في هذا ، وإنما نمتنع من إلحاق الذم بهم وسبهم إذ قد ميزهم الله تعالى عنا بما ليس لنا معهم فيه قدم ، وأما أداء الحقوق المشروعة فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقترض من اليهود ، وإذا طالبوه

---

(١) زائدة في « الفتوحات » .

(٢) في « س » : « نقمة » .

(٣) في «ق» : « من أولاد فاطمة » والمثبت عن « الفتوحات » .

(٤) في « الفتوحة المكية » : « وإن توجهت عليهم الأحكام المقررة شرعاً فذلك لا يقدح .. »

بحقوقهم أداها على أحسن ما يمكن ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » فذلك حق الله تعالى ، ومع هذا لم يذمهم الله تعالى ، وإنما كلامنا في حقوقكم ، وفيما لكم أن تطالبوهم به فلكم ذلك ، وليس لكم ذمهم ولا الكلام في أعراضهم [١/١٣٥] ، ولا سبهم ، وإن نزلتم عن طلب حقوقكم ، وعفوتم عنهم فيما أصابوه منكم كان لكم بذلك عند الله [اليد العظمى والمكانة][1] الزلفى فإن النبي صلى الله عليه وسلم ما سأل منكم إلا المودة في القربى ، ومن لم يقبل سؤال نبيه فيما هو قادر عليه فبأي وجه يلقاه غداً أو يرجو شفاعته ، وهو ما أسعف نبيه فيما سأله من المودة في قرابته ، ثم انه جاء بلفظ المودة وهي الثبوت على المحبة ؛ فإن من ثبت على محبته استصحب المودة في كل حال ، واذا استصحب المودة في كل حال لم يؤاخذ أهل البيت فيما يطرأ منهم في حقه مما لا يوافق غرضه ...[2] الا ترى ما قال المحب وما ذكر المودة التي هي أتم :

* وكلُّ ما يَفْعلُ المَحْبُوبُ مَحْبُوبُ *

وقال الآخر :

---

(١) زائدة في « الفتوحات » .

(٢) عبارة «الفتوحات» : « فإنه من ثبت وده في أمر استصحبه في كل حال ، وإذا استصحبته المودة في كل حال لم يؤاخذ أهل البيت بما يطرأ منهم في حقه مما له أن يطالبهم به ، فيتركه ترك محبة وايثاراً لنفسه لا عليها » .

أُحِبُّ لِحُبِّها السُّودانَ حتَّى
أُحِبَّ لِحُبِّهَا سُودَ الكِلابِ

وكانت الكلاب [السود][1] تناوشه ، وهو يتحبب إليها ، فهذا فعل المحب في حب من لا تسعده[2] محبته عند الله تعالى ولا تورثه القربة[3] عند الله تعالى . فهل هذا إلا من صدق الحب ، وثبوت الود في النفس ؛ فلو أحببت الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أحببت أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ، ورأيت كل ما يصدر منهم في حقك [مما لا يوافق طبعك ولا غرضك][4] أنه جمال محض تتنعم [بوقوعه منهم][4] ، وتعلم أن لك عناية عند الله تعالى حيث ذكرك من يحبه وهم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو ذكروك بذم وسب فتقول : الحمد لله الذي أجراني على ألسنتهم ، وتزيد الله تعالى شكراً على هذه النعمة ؛ فإنهم ذكروك بألسنة طاهرة قد طهرها الله تعالى بطهارة لم يبلغها علمك .

وإذا رأيناك على ضد هذه الحالة مع أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أنت محتاج إليه ، وله عليك المنة حيث هداك به ، فكيف أثق أنا بودك اذ تزعم أنك شديد

---

(١) زائدة في « الفتوحات » .

(٢) في « س » : لا تسعفه .

(٣) في «ق» : « القربى » والمثبت عن «الفتوحات» و «س» .

(٤) زائدة في « الفتوحات » .

الحب فيّ والرعاية لجانبي ، وما ذاك على الحقيقة إلا من نقص إيمانك ، ومن مكر الله تعالى، واستدراجه بك حيث لا تعلم ، وصورة المكر فيه أن تقول [١٣٥/ ب] وتعتقد أنك في ذلك ذابٌّ عن دين الله تعالى وشرعه، وإني ما طلبت إلا ما أباح الله تعالى لي طلبه، ويندرج الذم في ذلك الطلب المشروع ، والبغض والمقت، وأنت لا تشعر .

والدواء الشافي من هذا الداء العضال أنك لا ترى [لنفسك معهم حقاً][1] بل تنزل عن حقك لئلا يندرج فيه ما ذكرت لك، وما أنت من حكام المسلمين حتى تقيم فيهم حدود الله تعالى فلو كشف لك عن منازلهم في الآخرة عند الله تعالى لوددت أن تكون [مولى من مواليهم][2] والله يلهمنا رشد أنفسنا .

* * *

قال جامع هذه النبذة : ويؤيد مقالة الشيخ محيي الدين هذه ما خرجه الحاكم في مستدركه من حديث معاوية بن هشام قال : حدثنا عمر بن غياث[3] عن عاصم، عن زرّ بن حُبَيْش، عن عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار » .

---

(١) في «ق» : « لا ترى نفسك صاحب حق » والمثبت عن «الفتوحات » .

(٢) في «ق» و «س» : « أن تكون عبداً من عبيدهم » .

(٣) في «ق» و «س» : «عمرو بن عتاب » والمثبت عن «المستدرك » : ٣-١٥٢ ، و « ميزان الاعتدال » : ٢١٦/٣ .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[1].

وذكر الفقيه الحافظ محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري في كتاب « ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى » من حديث عمران بن حصين ، رضي الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سألت ربي أن لا يدخل النار أحداً من أهل بيتي ، فأعطانا ذلك » أخرجه الملا في سيرته[2] .

ومن حديث علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها : يا فاطمة تدرين لم سميت فاطمة ؟؟ قال علي رضي الله عنه : لم سميت ؟ قال : إن الله عز وجل ، قد فطمها وذريتها من النار يوم القيامة »[3] .

أخرجه الحافظ الدمشقي .

وقد رواه الإمام علي بن موسى الرضا بسنده ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله فطم ابنتي فاطمة

---

(١) انظر «المستدرك» : ٣ /١٥٢ كتاب معرفة الصحابة ، مناقب فاطمة رضي الله عنها .

(٢) ورد في «مجمع الزوائد» حديث يقاربه ونصه : «عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها : إن الله غير معذبك ولا ولدك » رواه الطبراني ورجاله ثقات . انظر : ٩ /٢٠٢.

(٣) الثابت في كتب السيرة أن فاطمة رضي الله عنها ولدت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بسبع سنين وستة أشهر. انظر «مجمع الزوائد» : باب في فضل فاطمة رضي الله عنها : ٩ /٢١١ .

وولدها [١] ومن أحبهم من النار » .

وخرج الإمام أحمد من حديث أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أبغض أهل البيت فهو منافق »

وروى أبو الفرج الأصبهاني [٢] من طريق عبيد الله بن عمر القواريري ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن أبان القرشي قال : دخل عبد الله بن حسن [١/١٣٦] على عمر بن عبد العزيز ، وهو حديث السن له وفرة ، فرفع مجلسه وأقبل عليه ، وقضى حوائجه ثم أخذ عُكْنَةً [٣] من عُكَنِه فغمزها حتى أوجعه [٤] وقال : اذكرها عندك للشفاعة . فلما خرج لامه قومه وقالوا : فعلت هذا بغلام حَدَث ؟! فقال : ان الثقة حدثني حتى كأني أسمعه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما فاطمة بَضْعة مني يسرني ما يسرها » [٥] وانا أعلم أن فاطمة لو كانت حية لسرها ما فعلت بابنها . قالوا : فما معنى غمزك بطنه ، وقولك ما قلت ؟ قال : إنه ليس أحد من بني هاشم إلا وله شفاعة ، فرجوت أن اكون في شفاعة هذا .

---

(١) في «س» : وولداها .

(٢) انظر كتاب « الأغاني » : « أخبار الخليفة عمر بن عبد العزيز » : ٨ / ٣٠٧ ط بيروت — دار الفكر .

(٣) العكنة : جمعها أعكان وهي الأطواء في البطن من السمنة .

(٤) في «ق» : « على لوجعه » والمثبت عن «س» و « الأغاني » .

(٥) مسند أحمد : ٤ /٣٢٣ .

٢

* * وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [١] قرأ ابن كثير ، وعاصم ، وحمزة ، والكِسَائِيّ وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، ومجاهد ، وطلحة ، والحسن ، وقتادة ، وأهل مكة : ﴿ وَاتَّبَعَتْهُمْ ﴾ — بالتاء — ﴿ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ على الإفراد [٢] .

وقرأ نافع ، وأبو جعفر ، وابن مسعود بخلاف عنه ، وأبو عمرو بخلاف عنه ، وشَيْبَة والجَحْدَرِيّ ، وعيسى : ﴿ واتَّبَعَتْهُمْ ﴾ بالتاء ﴿ ذُرِّيَّتُهُمْ ﴾ ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾ على إفراد في الأولى وجمع في الثانية [٣] .

وروى خارجة عنه مثل قراءة حمزة ، وقرأ ابن عامر ، وابن عباس ، وعكرمة وسعيد بن جبير ، والضحاك .

---

(١) سورة الطور ، آية : ٢١ .

(٢) انظر تفسير «البحر المحيط» : ٨ / ١٤٩ والطبري ٢٧ / ٢٦ .

(٣) انظر تفسير القرطبي : ١٧/ ٦٦ .

﴿ واتَّبَعَتْهُمْ ﴾ بالتاء ﴿ ذُرِّيَّاتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾ جمعاً في الموضعين .

وقرأ أبو عمرو ، والأعرج، وأبو رجاء، والشعبي ، وابن جبير ، والضحاك: ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ﴾ بالنون ﴿ذُرِّيَّاتِهِم﴾ ﴿ بِهِمْ ﴾ جمعاً في الموضعين، فكون الذرية جمعاً في نفسه حَسَّنَ الإفراد في هذه القراءات ، وكون المعنى يقتضي انتشاراً وكثرة حسَّنَ جمعَ الذرية في قراءة من قرأ : ﴿ ذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ مبتدأ و ﴿ أَتْبَعْنَاهُمْ ﴾ خبره ، و﴿ واتَّبَعَتْهُمْ ﴾ فعل متعد إلى مفعول و ﴿ أَتْبَعْنَاهُمْ ﴾ معدى بالهمزة إلى مفعولين ، والذريات التي كانت فاعلة صارت مفعولاً ثانياً ، وهكذا في جميع موارد هذا الفعل حيث وردت كقوله تعالى :﴿ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنّاً وَلاَ أَذىً ﴾[1] وقوله صلى الله عليه وسلم : « وأتبعه ستاً من شوال »[2] [١٣٦/ ب] وقوله:« وأتبع السيِّئة الحَسَنَةَ تَمْحُها » وقوله : « وأتبعَ أهلَ القَليب لعنة »[3] في جميع هذه ، أخَّرَ الذي كان فاعلاً ، ولم يقدم على قياس قوله تعالى :﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ ﴾[4] وقوله : (وَأَوْرَثْنَا القَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا

(١) سورة البقرة ، آية ٢٦٢ .
(٢) انظر مسند الامام أحمد : ٥ / ٤١٩ .
(٣) انظر مسند الإمام أحمد : ١ /٤٠٣ . والقليب : البئر .
(٤) سورة ابراهيم ، آية : ١٤ .

يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ﴾[1] ونحو ذلك .

والظاهر أنه يجوز العكس في الموضعين بأن يقول : « أَتْبَعْتُ الذرية أباهم » و « أَسْكَنْتُ الأَرْضَ إيَّاكُمْ » ولعل اختيار العكس لِلْبَدْأَةِ بالأهم ، وإنما عرف هذا بالقرينة ، ولو قلت: « أتبعت زيدا عمروا ، وأورثت سالماً غانماً احتمل» ، والحمل على ما ورد من نظائرها يقتضي أن عمروا تابعٌ ، وسالماً وارثٌ .

وقوله : ﴿ بِإِيمَانٍ ﴾ متعلق « بأتبعنا » .

وقال الزمخشري[2] : [متعلق][3] «بألحقنا» وهل هو إيمان الذرية فيراد بهم الكبار البالغون ، أو إيمان الآباء فيراد بهم الصغار ؟ فيه خلاف ، والصحيح أنه يراد بهم الصغار ، وعلى هذا فالتنكير في الإيمان يراد به التعظيم تنبيهاً على أنه إيمان خالص عظيم المنزلة ، وعلى الأول يكون التنكير للتقليل كأنه قال : شيء من الإيمان لا يوصلهم لدرجة الآباء أتبعناهم آبـاءهم .

وهل التبع في الدخول أو في رفع الدرجة ؟

(١) سورة الأعراف ، آية : ١٣٧ .
(٢) انظر كتاب «الكشاف» : ٤/٣٢٧ .
(٣) ساقطة من «ق» والمثبت من «س».

قال أبو علي الفارسي : إن حملت الذرية على الصغار كان قوله : « بإيمان » في موضع نصب على الحال من المفعول أي اتبعتهم بإيمان من الآباء ذريتهم . يعني على قراءة الجمهور ، وكلا القولين مروى عن ابن عباس رضي الله عنه .

وقال الواحدي : والوجه أن تحمل الذرية على الصغير والكبير ؛ لأن الكبير يتبع الأب بإيمان [نفسه والصغير يتبع الأب بإيمان] (١) الأب، والذرية تقع على الصغير والكبير .

وقد اختلف الناس في معنى الآية على ثلاثة أقوال :

* أحدها قال ابن عباس رضي الله عنهما ، وابن جبير ، والجمهور : أخبر الله تعالى أن المؤمنين الذين تتبعهم ذريتهم في الإيمان ، فيكونون مؤمنين كآبائهم ، وإن لم يكونوا في التقوى والأعمال كالآباء ، فإنه يلحق الأبناء بمراتب أولئك الآباء كرامة للآباء .

وقد ورد في هذا المعنى حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعلوا الحديث تفسير الآية ، وهو ما رواه جبارة [١٣٧/أ] بن المغلس ، حدثنا قيس عن (٢) عمرو بن مرة عن (٣) سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال

---

(١) سقطت من «س» .

(٢) في «س» : عن ابن عمرو بن مرة .

(٣) في «س» عن ابن عمرو بن مرة بن سعيد . والمثبت عن «ق» وابن كثير .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته ، وإن كانوا دونه في العمل لتقربهم عينه، ثم قرأ ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ قال : ما أنقصنا الآباء بما أعطيناه البنين (١) .

قال ابن عطية : وكذلك وردت أحاديث تقتضي أن الله تعالى رحم الآباء رعياً للابناء الصالحين.

* ثانيها: قال ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً والضحاك: معنى هذه الآية أن الله تعالى ألحق الأبناء الصغار بأحكام الآباء المؤمنين، يعني المُوَارَثَة والدفن في قبور المسلمين، وفي أحكام الآخرة ، وفي الجنة . ومعنى هذا القول أن أولادهم الكبار تبعوهم بإيمان منهم، وأولادهم الصغار تبعوهم بإيمان الآباء ؛ لأن الولد يُحْكَم له بالاسلام تبعاً لوالديه، فيكون معنى الآية على هذا : واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ، أي إن بلغت أن آمنت ألحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان .

* ثالثها : ذهب بعض الناس إلى إخراج هذا المعنى من هذه الآية، وذلك لايترتب إلا بأن يجعل اسم الذرية بمثابة نوعهم على نحو ما هو في قوله تعالى : ﴿ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ في

---

(١) انظر تفسير الطبري : ٢٤/٢٧ .

الفُلْكِ المَشحُونِ ﴾ [1] .

وقال الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنه : إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء رفع الله [تعالى الأبناء إلى درجة الآباء ، وإن كان الأبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله] [2] الآباء إلى درجة الأبناء [3] .

وهذا القول اختيار الفرّاء ، والآباء على هذا القول داخلون في اسم الذرية ، ويجوز ذلك كما قيل في قوله تعالى : ﴿ وآيَةٌ لَهُمْ أنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ في الفُلْكِ المَشْحُونِ ﴾

قال ابن عطية : وفي هذا نظر .

وحكى أبو حاتم عن الحسن أنه قال : الآية في الكبار من الذرية ، وليس فيها من الصغار شيء .

وقال القاضي منذر بن سعيد البلوطي : هي في الصغار لا في الكبار .

وحكى الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري قولاً معناه أن الضمير في قوله : « بهم » عائد على الذرية ، والضمير الذي بعده[١٣٧/ ب] في ﴿ذرياتهم﴾ عائدعلى «الذين آمنوا» ،

---

(١) سورة يس ، آية : ٤١ .

(٢) ساقطة من : «س» .

(٣) انظر تفسير القرطبي : ١٧ /٦٧ .

اي اتبعتهم الكبار ، وألحقنا نحن بالكبار الصغار [1] .

قال ابن عطية : وهذا قول مستنكر .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً أنه فسر الذين آمنوا : بالمهاجرين والأنصار ، والذرية : بالتابعين .

قال ابن عطية : وأرجح الأقوال في هذه الآية القول الأول بمعنى أن الصغار والكبار المقصرين يلحقون بالآباء، لأن الآيات كلها في صفة إحسان الله تعالى إلى أهل الجنة ، فذكر من جملة إحسانه أنه يرعى المحسن في المسيء ولفظة « ألحقنا » تقتضي أن للملحق بعض التقصير في الأعمال .

* * *

قال جامعه : خرج الحاكم من حديث عبد الرزاق ، عن سفيان الثوري ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾ قال : إن الله عز وجل يَرفعَ ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة ، وإن كانوا دونه في العمل ، ثم قرأ :﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ ، وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ﴾ يَقولَ : وما أنقصناهم [2] .

وروى شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير قال :

---

(١) انظر تفسير الطبري : ٢٧ /٢٥، ٢٦ .

(٢) انظر « المستدرك » : تفسير سورة الطور : ٢ / ٤٦٨ .

يدخل الرجل الجنة فيقول : أين أبي ؟ أين أمي ؟ أين ولدي ؟ أين زوجي ؟! فيقال له : لم يعملوا مثلَ عملك . فيقول : كنت أعمل لي ولهم . فيقال لهم : ادخلوا الجنة . ثم قرأ : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾ الآية[1] .

قال جامعه : فإذا أكرم الله تعالى المؤمن لإيمانه ، فجعل ذريته الذين لم يستحقوا درجته [معه][2] في الجنة لتقصيرهم ، فالمصطفى صلى الله عليه وسلم أكرم على ربه تبارك وتعالى من أن يهين ذريته بإدخالهم النار في الآخرة ، وهو عز وجل يقول : ﴿ إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ﴾[3] بل من كمال شرفه صلى الله عليه وسلم ورفيع قدره ، وعظيم منزلته عند الله عز وجل أن يقر الله سبحانه وتعالى عينه بالعفو عن جرائم ذريته ، والتجاوز عن معاصيهم ، ومغفرة ذنوبهم وأن يدخلهم الجنة من غير عذاب جهنم .

* * *

(١) سورة الرعد : ٢٣ .

(٢) ساقطة من «س» .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ١٩٢ .

٣

** وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ، وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾[1] [١/١٣٨] قال سفيان عن مسعر عن عبد الملك، عن[2] ميسرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، في قوله: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ [قال : حفظا لصلاح أبيهما ، وما ذَكَرَ عنهما صلاحاً][3] .

قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين[4] .

وكان السابع من آبائهما .

* * *

قال جامعه : فإذا صح أن الله سبحانه قد حفظ غلامين لصلاح أبيهما فيكون قد حفظ الأعقاب برعاية الأسلاف ، وإن طالت الأحقاب .

(١) سورة الكهف ، آية : ٨٢ .

(٢) في «س» : بن ميسرة .

(٣) سقط من «ق» والمثبت عن «س» .

(٤) انظر «المستدرك» تفسير سورة الكهف : ٢/٣٦٩ .

ومن ذلك ما جاء في الأثر أن حمام الحرم من حمامتين عششتا على فم الغار الذي اختفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلذلك حُرّم حمام الحرم ، وإذا كان كذلك فمحمد صلى الله عليه وسلم أحرى وأولى وأحق ، وأجدر أن يحفظ الله تعالى ذريته ، فإنه إمام الصلحاء ، وما أصلح الله فساد خلقه إلا به ، ومن جملة حفظ الله تعالى لأولاد فاطمة عليها السلام أن لا يدخلهم النار يوم القيامة .

وقد خرج أبو داود الطيالسي . حدثنا عمرو بن ثابت ، حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن حمزة بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

ما بال أقوام يزعمون أن رحمي لا تنفع ، والذي نفسي بيده إن رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة ، وإني فَرَطُكُم[1] على الحوض ، أيها الناس ألا وسيجيء قوم يوم القيامة ، فيقول القائل منهم : يا رسول الله أنا فلان بن فلان ، فأقول : أما النسب فقد عرفت ، ولكنكم ارتددتم بعدي ، ورجعتم القهقرى »[2] .

(١) أي متقدم عليكم .

(٢) انظر كتاب « منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود » كتاب الكبائر ، باب الترهيب من احتقار الذنوب الصغيرة والاتكال على النسب : ٢ / ٦٤ . هذا وقد رواه بمثله الامام احمد في مسنده : ١٨/٣ .

ورواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن سعيد ابن المسيب وحمزة بن أبي سعيد [عن أبي سعيد][2] الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره ، قيل لشريك : يا أبا عبد الله علام حملتم هذا الحديث ؟ قال : على أهل الردة .

ورواه قتيبة ، وعبد الرحمن بن شريك ، عن شريك .

* * *

(٢) سقطت من «ق» والمثبت عن «س» .

٤

* * وقال تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ ، وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾[1] قال أبو جعفر الطبري[2] :

[يقول الله تعالى: جنات عدن يدخلها هؤلاء الذين وصف صفتهم] [3] وهم الذين يوفون بعهد الله ، ويصلون ما أمر الله به أن يوصل ، ويخشون ربهم ، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ، وأقاموا الصلاة ، وفعلوا الأفعال التي ذكرها الله تعالى [١٣٨/ ب] في هذه الآيات الثلاث ومن صلح من آبائهم ، وأزواجهم [وهم][4] نساؤهم وأهلوهم ، وذرياتهم ، وصلاحهم : إيمانهم بالله تعالى ، واتباعهم أمره ، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر عن مجاهد : ﴿ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ ﴾ من آمن في الدنيا .

---

(١) سورة الرعد : ٢٣ .
(٢) انظر تفسير الطبري : ١٣/ ١٤١ .
(٣) سقطت من «س» .
(٤) سقطت من «س» .

وقال الامام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي : ﴿ وَمَنْ صَلَحَ ﴾ موضع «مَنْ» رفع عطف على الواو في : ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾

وقال أبو اسحاق : وجائز أن يكون نصباً كما تقول : «دخلوا وزيداً » أي مع زيد .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ ﴾ يريد : من صدّق بما صدقوا به ، وإن لم يعمل مثل أعمالهم .

وقال أبو اسحاق : اعلم أن الأنساب لا تنفع بغير أعمال صالحة ؛ فعلى قول ابن عباس، رضي الله عنهما : معنى صلح : صدق ، وآمن ، ووحد، وعلى ما ذكره أبو إسحاق معناه: صلح في عمله .

والصحيح ما قال ابن عباس، رضي الله عنهما؛ لأن الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله حيث بشره بدخول الجنة مع هؤلاء ، فدل على أنهم يدخلونها كرامة للمطيع العامل، ولا فائدة للتبشير والوعد إلا بهذا؛ إذكل مصلح في عمله قد وُعِدَ دخول الجنة .

وقال القرطبي[1] : ﴿ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ ﴾ يجوز أن يكون معطوفاً على « أولئك » والمعنى : أولئك ومن صلح من آبائهم وأزواجهم ، وذرياتهم لهم عقبى الدار ،

---

(١) انظر تفسير القرطبي : ٩/ ٣١١، ٣١٢ .

ويجوز أن يكون معطوفاً على الضمير المرفوع في: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ وحسن العطف لما حال[1] الضمير المنصوب بينهما، ويجوز أن يكون المعنى: يدخلونها فيدخلها من صلح من آبائهم أي من كان صالحاً، لا يدخلونها بالأنساب. ويجوز أن يكون موضع «مَنْ» نصباً على تقدير: يدخلونها مع من صلح من آبائهم: أي وإن لم يعملوا مثل أعمالهم يلحقهم الله تعالى بهم كرامة لهم.

وقال ابن عباس، رضي الله عنهما: هذا الصلاح: الإيمان بالله والرسول، ولو كان لهم مع الإيمان طاعات أخرى لدخلوها بطاعتهم لا على وجه التبعية.

قال القشيري: وفي هذا نظر لأنه لابد من الإيمان [فالقول في اشتراط العمل الصالح كالقول في اشتراط الايمان][2] فالأظهر أن هذا الصلاح في جملة الأعمال؛ والمعنى أن النعمة غداً [١/١٣٩] تتم عليهم بأن جعلهم مجتمعين مع قراباتهم في الجنة، وإن كان لا يدخلها كل إنسان بعمل نفسه، بل برحمة الله تعالى.

* * *

قال جامعه: فإذا جاز أن يكرم الله تعالى عباده المؤمنين بالذين عملوا بطاعته، ونهوا أنفسهم عن مخالفته بأن يدخل معهم الجنة من أهاليهم، وذوي قراباتهم مَنْ كان مؤمناً قد

(١) في «ق»: «لما حل» والمثبت عن «القرطبي» و«س».

(٢) سقطت من «س».

قصر في عبادة ربه، وخالف بعض ما نهى عنه بطريق التبعية لهم لا أنهم قد استحقوا تلك المنازل بما أسلفوا من الطاعات في أيام الحياة الدنيا؛ فرسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين وإمام المتقين لَوَلِيٌّ بهذه الكرامة أن يدخل الله تعالى عصاة ذريته الجنة تبعاً له، ويرضى عنهم أخصامهم.

* * *

٥

* * وقال تعالى : ﴿ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾[1]. قال الطبري[2] يقول : الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للذين يمارونك في الساعة من مشركي قومك : قل لا أسألكم أيها القوم على دعايتكم إلى ما أدعوكم إليه من الحق الذي جئتكم به ، والنصيحة التي أنصحكم – ثواباً وجزاء [وعوضاً من أموالكم تعطونيه][3] إلا المودة في القربى ؛ فاختلف أهل التأويل ما يعني بقوله : ﴿ إلاَّ المَوَدَّةَ في القُرْبَى ﴾ فقال بعضهم : معناه : إلا أن تودُّوني في قرابتي [منكم][4] وتصلوا رحمي بيني وبينكم .

ثم ذكر من طريق الشعبي عن ابن عباس ، رضي الله عنهما قال : لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول

(١) سورة الشورى ، آية : ٢٣ .
(٢) انظر : « تفسير الطبري » ٢٥/ ٢٢/ ٢٦ .
(٣) سقطت من «س» .
(٤) في «ق» : «معكم» والمثبت عن « س» .

الله صلى الله عليه وسلم وبينهم قرابة ، فقال : قل لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودوني في القرابة التي بيني وبينكم .

وعن طاوس في قوله : ﴿ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ . فقال : سئل عنها ابن عباس رضي الله عنهما فقال سعيد بن جبير : هي قربى آل محمد . فقال : عجل أبو عبد الله[1] ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من بطون قريش إلا وله فيه قرابة . قال : فنزلت : ﴿ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ المَوَدَّةَ في القُرْبَى ﴾ قال : إلا القرابة التي بيني وبينكم أن تصلوها[2] .

وفي رواية عن ابن عباس، رضي الله عنهما قال: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة في جميع قريش ؛ فلما كذبوه ، وأبوا أن يتابعوه قال : يا قوم إن أبيتم أن [١٣٩/ ب] تتابعوني فاحفظوا قرابتي فيكم ، لا يكن غيركم من العرب أولى أن يحفظني وينصرني[3] منكم .

وفي رواية عن ابن عباس ، رضي الله عنهما : يعني محمداً صلى الله عليه وسلم قال لقريش : لا أسألكم من أموالكم

(١) في الطبري والبخاري : «عجلت» .
(٢) انظر : صحيح البخاري كتاب التفسير باب قوله : « إلا المودة في القربى » ٦/ ١٠٧ . تحقيق النواوي ، وابو الفضل ، وخفاجي .
(٣) في الطبري : « أولى بحفظي ونصرتي منكم » .

شيئاً ، ولكن لا تؤذوني لقرابة ما بيني وبينكم ؛ فإنكم قومي وأحق من أطاعني ، وأجابني .

وعن عكرمة ، رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان واسطاً في قريش، وكان له في كل بطن من قريش نسباً فقال : لا أسألكم عليه أجراً على ما أدعوكم إليه إلا أن تحفظوني في قرابتي .

وعن أبي مالك : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وأمه من بني زهرة ، وأم أبيه من بني مخزوم ، فقال « احفظوني في قرابتي » .

وعن عكرمة قال : تعرفون قرابتي وتصدقوني فيما جئت به ، وتمنعوني .

وعن قتادة : إن الله أمر محمداً صلى الله عليه وسلم أن لا يسأل الناس على هذا القرآن أجراً إلا أن يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة ، وكل بطون قريش قد ولدته ، وبينه وبينهم قرابة .

وعن مجاهد قوله : ﴿ إلاَّ المَوَدَّةَ في القُرْبَى ﴾ أن يتبعوني ، ويصدقوني ، ويصلوا رحمي.

وعن السدى قال : لم يكن بطن من بطون قريش إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فيهم ولادة ، فقال: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودوني لقرابتي منكم .

وعن الضحاك في قوله : ﴿ إلاَّ الْمَوَدَّةَ في القُرْبَى ﴾

يعني قريشاً، يقول : انما أنا رجل منكم فأعينوني على عدوي، واحفظوا قرابتي ، وإن الذي جئتكم به لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى أن تودوني لقرابتي ، وتعينوني على عدوي.

وعن ابن زيد[1] يقول : إلا أن تودوني لقرابتي كما تَوَادُّوني في قرابتكم، وتواصلون بها ، ليسَ هذا الذي جئت به يقطع ذلك عني ، فلست ابتغي على الذي جئت به أجراً آخذه على ذلك منكم .

وعن قتادة قال : كل قريش قد كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ، فقال : قل لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودوني بالقرابة التي بيني وبينكم .

وعن عطاء بن دينار يقول : لا أسألكم على ما جئتكم به أجراً إلا أن تودوني في قرابتي منكم ، وتمنعوني من الناس.

وقال آخرون : بل معنى ذلك : قل لمن اتبعك من المؤمنين لا أسألكم على ما جئتكم به أجراً إلا أن تودوا قرابتي.

ثم ذكر عن السُّدِّى عن أبي الدَّيْلَم قال: لما جيء بعلي بن الحسين أسيرا ، وأقيم على دَرَج[2] دمشق قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم ، واستأصلكم ، وقطع قرن الفتنة. فقال له علي: أقرأت القرآن؟ قال : نعم . قال : قرأت «آل حم»؟ قال: قرأت القرآن ، ولم أقرأ «آل حم» . قال

(١) في «ق» و «س» : « ابن أبي زيد » والمثبت عن «الطبري» .

(٢) درج دمشق : طريقها .

ما قرأت: ﴿ قُل لاَ أَسأَلُكُمْ عَلَيهِ أَجراً إلاَّ المَوَدَّةَ في القُربَى ﴾ ؟ قال: فإنكم لإياهم[1] ؟ قال: نعم.

وعن مِقْسَم عن ابن عباس، رضي الله عنهما قال: قالت الأنصار: فعلنا وفعلنا — فكأنهم فخروا — فقال ابن عباس — أو العباس — لنا الفضل عليكم. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاهم في مجالسهم فقال: يا معشر الأنصار، ألم تكونوا أذلاء فأعزكم الله بي؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال ألم تكونوا ضُلاّلاً فهداكم الله بي؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: افلا تجيبوني؟ قالوا ما نقول يا رسول الله؟ قال: ألا تقولون: أولم يخرجك قومك فآويناك؟ أولم يكذبوك فصدقناك؟ أولم يخذلوك فنصرناك؟ قال: فما زال يقول حتى جثوا على الركب، وقالوا: أموالنا، وما في أيدينا لله ولرسوله. قال فنزلت: ﴿ قُل لاَ أَسأَلُكُمْ عَلَيهِ أَجراً إلاَّ المَوَدَّةَ في القُربَى ﴾.

وعن أبي العالية، عن سعيد بن جبير: ﴿ إلاَّ المَوَدَّةَ في القُربَى ﴾ قال: هي قربى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعن أبي إسحاق: سألت عمرو بن شعيب، عن قول الله تعالى: ﴿ قُل لاَ أَسأَلُكُمْ عَلَيهِ أَجراً إلاَّ المَوَدَّةَ في القُربَى ﴾ قال: قربى النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: قل لا أسألكم أيها الناس

(١) في الطبري: « وانكم لأنتم هم »؟

على ما جئتكم به أجراً إلا أن تَوَدَّدُوا إلى الله، وتتقربوا إليه بالعمل الصالح، والطاعة.

ثم ذكر من طريق قزعة بن سويد [عن ابن ابي نجيح][1] عن مجاهد، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قل لا أسألكم على ما جئتكم به من البينات والهدى أجراً إلا أن تودوا الله، وتتقربوا إليه بطاعته.

وعن الحسن: ﴿ إلاَّ المَوَدَّةَ في القُربَى ﴾ قال: القربى إلى الله، وفي رواية: إلا التقرب إلى الله تعالى، والتودد إليه بالعمل الصالح، وفي رواية: قل لا أسألكم على ما جئتكم به أجراً إلا المودة في القربى .. إلا أن تودددوا إلى الله تعالى بما يقربكم اليه من عمل بطاعته.

وعن قتادة، عن الحسن، بنحوه. وقال آخرون: بل معنى ذلك: إلا أن تصلوا قرابتكم.

ثم ذكر [عن][2] عبد الله بن القاسم في قوله: ﴿ إلاَّ المَوَدَّةَ في القُربَى ﴾. قال: أمرت أن تصل قرابتك.

قال الطبري: وأولي الأقوال في ذلك بالصواب، وأشبهها بظاهر التنزيل قول من قال: معناه قل لا أسألكم عليه أجراً

(١) الفقرة من أول قوله: « فاحفظوا قرابتي فيكم » إلى قوله: « عن ابن أبي نجيح » ساقطه من «ق» والمثبت عن «س».

(٢) سقطت من «س».

يا معشر قريش إلا أن تودوني في قرابتي منكم، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم ، ثم استدل لذلك.

* * *

وقال ابن عطية [1] : « اختلف الناس في معناه — يعني قوله تعالى : (قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) فقال ابن عباس — رضي الله عنهما— وغيره : هي آية مكية نزلت في صدر الإسلام، ومعناها: استكفاف [2] شر الكفار ، ودفع أذاهم، أي إني ما أسألكم على القرآن والدين ، والدعاء إلى الله تعالى إلا أن تودوني لقرابة هي بيني وبينكم ، فتكفوا عني أذاكم .

قال ابن عباس ، وابن اسحاق ، وقتادة : لم يكن في قريش بطن إلا ولرسول الله، صلى الله عليه وسلم، فيهم نسب أو صهر ، والآية على هذا هي استعطاف ما ، ودفع أذى ، وطلب سلامة منهم ، وذلك كله منسوخ بآية السيف .

ويحتمل على هذا التأويل أن يكون معنى الكلام استدعاء نصرهم ، أي لا أسألكم غرامةً ولا شيئاً إلا أن تودوني لقرابتي منكم ، وأن تكونوا أولى بي من غيركم.

وقال مجاهد : المعنى إلا أن تصلوا رحمي باتباعي .

وقال ابن عباس أيضاً ما يقتضي أنها مدنية، وسببها أن

(١) انظر « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » ورقة : ٩٨ ، ٩٩ .

(٢) أي طلب الكف .

قوماً من شباب الأنصار فاخروا المهاجرين ، وطالوا [1] بالقول على قريش، فنزلت الآية في ذلك على معنى : الا أن تودوني فتراعوني في قرابتي ، وتحفظوني فيهم.

وقال بهذا المعنى في هذه الآية علي بن الحسين رضي الله عنهما [١/١٤٠] واستشهد بهذه الآية حين سيق إلى الشام أسيراً ، وهو تأويل سعيد بن جبير ، وعمرو بن شعيب ؛ وعلى هذا التأويل قال ابن عباس، رضي الله عنهما، قيل يا رسول الله: مَنْ قرابتك الذين أمرنا [بمودتهم] [2] فقال: « علي وفاطمة وابناهما » [3] .

وقيل : هم ولد عبد المطلب ، قال ابن عطية : وقريش كلها عندي قُرْبَى ، وإن كانت تتفاضل .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من مات على حب آل محمد مات شهيداً ، ومن مات على بغضهم لم يشم رائحة الجنة » .

وقال ابن عباس أيضاً — في كتاب الثعلبي : سبب نزول هذه الآية أن الأنصار جمعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) في تفسير ابن عطية : « ومالوا » .

(٢) سقطت من «ق» والمثبت عن ابن عطية .

(٣) قال في « مجمع الزوائد » : « رواه الطبراني وفيه جماعة ضعفاء ، وقد وثقوا » انظر : ١٦٨/٩ .

[مالاً][1] وساقته إليه، فرده عليهم ، ونزلت الآية في ذلك .

وقال ابن عباس أيضاً : معنى الآية : قربى الطاعة ، والتزلف إلى الله تعالى [كأنه][2] قال : إلا أن تودوني لأني أقربكم من الله ، وأريد هدايتكم، وأدعوكم إليها .

وقال الحسن بن أبي الحسن[3] : معناه إلا أن تتوددوا إلى الله تعالى بالتقرب إليه .

وقال عبدالله بن القاسم في كتاب الطبري : [معنى الآية][4] إلا أن تتوددوا بعضكم إلى بعض ، وتصلوا قراباتكم ؛ فالآية على هذا [أمر][5] بصلة الأرحام .

وذكر النقاش ، عن ابن عباس ، ومقاتل ، والكلبي ، والسدى أن الآية منسوخة بقوله تعالى في سورة سبأ : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ﴾[6] .

والصواب أنها مُحْكَمَةٌ ، وعلى كل قول فالاستثناء منقطع و « إلا » بمعنى « لكن » ، والله أعلم.

* * *

(١) ساقطة من ابن عطية .
(٢) في «ق» «لأنه» والمثبت عن «س» وابن عطية.
(٣) في ابن عطية : ابن أبي الحسين ، وهو خطأ .
(٤) ساقطة من ابن عطية .
(٥) في «ق» : « البر بصلة الأرحام» .
(٦) سورة سبأ ، آية : ٤٧ .

قال جامعه : [ويظهر لي][1] أن الخطاب في الآية عام لجميع مَنْ آمن، وذلك أن العرب بأسرها قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هو منهم، فيتعين على من سواهم من العجم أن يوادوهم ، ويحبوهم ، وقد ورد في الأمر بحب العرب أحاديث ، وأن قريشاً أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن كلهم ؛ فإنهم كلهم أبناء اسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ؛ فعلى كل يماني من العرب أن يود قريشاً ويحبهم من أجل أنهم قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنو أبيه ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام .

* * *

وقد وردت أحاديث [١٤٠/ ب] في تفضيل قريش ، وفي تقديمها على غيرها ، وأن بني هاشم رهط رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسرته فيجب ويتعين على من عداهم من قريش محبتهم ومودتهم، وأن علياً ، وفاطمة، وحسناً، وحسيناً، وذريتهما أقرب [العرب][2] من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتأكد مودتهم [ويجب على بني هاشم، بل وجميع قريش إكرامهم لما يجب من أكيد مودتهم][3] ويتعين من فضائلهم ، وفوق كل ذي علم عليم .

(١) ساقطة من «س» .
(٢) سقطت من «ق» والمثبت عن «س» .
(٣) سقطت من «ق» والمثبت عن «س» .

وقال الطوفي[١] : اختلف في القربى فقيل : هي قربى كل مكلف أوصى بمودتها، فهي كالوصية بصلة الرحم، وقيل: هي قربى النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم اختلف فيها فقيل : هي جميع بطون قريش كما فسره ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه البخاري [٢] وغيره . وقيل: هي قرابته الأدنون، وهم أهل بيته : علي ، وفاطمة ، وولداهما أوصى بمودتهم .

وعند هذا استطالت الشيعة، وزعموا أن الصحابة، رضي الله عنهم خالفوا هذا الأمر ، ونكثوا هذا العهد بأذاهم أهل البيت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، مع أنه سأل مودتهم، ونزلها منزلة الأجر [على ما [لا][٣] يجوز الأجر][٤] عليه .

وإلى هذه الآية أشار الكُمَيْتُ بن زيد الأسَدِيّ[٥] ، وكان شيعياً حيث يقول:

وجَدْنا لَكُمْ في آل حَمَ آيــةً
تَأوَّلَهــا مِنَّا تَقِيٌّ ومُعْرِبُ[٦]

---

(١) انظر : كتاب «الإشارات الإلهية» ورقة رقم : ١٨٠ كتاب التفسير .

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب التفسير باب قوله « إلا المودة في القربى ٦/ ١٠٧ تحقيق النواوي ، وابو الفضل ، وخفاجي ط النهضة الحديثة .

(٣) ساقطة من «ق» و «س» والمثبت عن «الإشارات» .

(٤) ساقطة من «س» .

(٥) انظر ترجمته في كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني : ١٥/ ٢٦٠ ـ ٢٩٨ ط دار الفكر .

(٦) البيت من قصيدته التي يمدح بها آل البيت وأولها :

* طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب *

أي المجاهر، ومن يحب التقية جميعاً. فتأولناها جميعاً على أنكم المراد بها .

وأجاب الجمهور بمنع أن القربي فيها من ذكرتم، ثم بمنع أن أحداً من الصحابة، رضي الله عنهم، آذاهم، أو نكث العهد فيهم .

* * *

٦

حدثني الشيخ الفقيه الحنفي الصوفي جمال الدين أبو المحاسن محمد بن إبراهيم بن أحمد المرشدي المكي، حرمه الله بالمحرم الشريف تجاه الكعبة المعظمة قال : أخبرني الإمام العلامة مفتي المسلمين زين الدين عبد الرحمن الخلال[1] البغدادي، وقد جاور بمكة، شرفها الله تعالى، أن بعض أمراء تيمورلنك أخبره أنه لما مرض تيمورلنك مرض الموت اضطرب ذات يوم اضطراباً كثيراً، واسود وجهه، وتغير لونه، ثم أفاق ، فذكروا له ذلك فقال : إن ملائكة العذاب أتته ، فجاء رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال لهم: اذهبوا عنه؛ فإنه كان يحب [١٤١/ ا] ذريتي ويحسن إليهم [فذهبوا].[2]

وقد حدثني بهذا الخبر عن الخلال أيضاً تلميذه الفاضل شرف الدين أحمد بن إسماعيل بن عثمان الشهرزوري الكوراني الشافعي ، والشيخ جمال الدين المرشدي ، والشيخ زين الدين الخلال .

(١) في «س» : «الجلال» .
(٢) سقطت من «س» .

وللشيخ شرف الدين الكوراني عندي ترجمة في كتاب « درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة » . وكتب إلي المحدث الفاضل أبو حفص بن محمد الهاشمي . وشافهني به غير مرة قال : اخبرني الشيخ شمس الدين محمد بن حسن الخالدي قال : رأى بعض أصحابنا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ورأى عنده تيمورلنك فقال له: وصلت إلى هنا يا عدو فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « اليك يا محمد فإنه كان يحب ذريتي » .

* * *

وحدثني الشيخ الفاضل يعقوب بن يوسف بن علي بن محمد القرشي المكناسي قال : أخبرني أبو عبد الله محمد الفاسي قال : كنت أبغض بني حسين[1] أشراف المدينة المنورة لما كان يظهر لي من تعصبهم على أهل السنة [بالمدينة، وتظاهرهم بالبدع مدة محاورتي بالمدينة][2] فنمت مرة بالنهار بالمسجد النبوي تجاه القبر المقدس ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم [وهو] يقول لي يا فلان [مالي] أراك تبغض أولادي ؟! فقلت حاشا لله يا رسول الله ، ما أكرههم ، وإنما كرهت منهم ما رأيت من تعصبهم على أهل السنة ، فقال لي : مسألة فقهية أليس الولد العاق يلحق بالنسب ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، فقال : هذا ولد عاق . فانتبهت ، وقد زال بغضي لهم ، وصرت لا

(١) في «ق» : «بني حسن» والمثبت عن س .
(٢) سقطت من «ق» والمثبت عن «س» .

ألقي أحداً من بني حسين أشراف المدينة إلا بالغت في إكرامه . ولله الحمد والمنة .

وقد ذكرت المذكور في كتاب : « درر العقود » ونعم الرجل هو .

* * *

وحدثني قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن عبد العزيز ابن عبد المحمود البكري البغدادي الحنبلي قال : رأيت في المنام كأني بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد انفتح القبر المقدس ، وخرج منه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجلس وعليه أَكْفَانُهُ ، وأشار بيده المقدسة أن تعال . فقمت وجئت حتى دنوت منه ، فقال لي : قل للمؤيد يفرج عن عجلان . فانتبهت ، وصعدت على عادتي إلى مجلس السلطان المؤيد شيخ ، وأخذت أحلف له أَيْماناً حَرِجَةً [١٤١/ ب] أني ما رأيت عجلان قط ، ولا بيني وبينه معرفة ، ثم قصيت(١) عليه رؤياي ، فسكت . وقمنا حتى انفض المجلس . فقام وخرج من مجلسه إلى دركاه(٢) القلعة ، ووقف عند مرماة نُشّاب(٣) استجدها ، ثم استدعى الشريف عجلان من سجنه ، وافرج عنه .

(١) قصيت : لغة في قصصت .
(٢) دركاه القلعة : مدخلها ، وهي كلمة فارسية .
(٣) النشاب : النبل .

ولما حدثني القاضي عز الدين بهذا الخبر أقسم بالله أني ما كنت قبل رؤياي هذه أعرف الشريف [عجلان بل ولا رأيته قط .

قلت : عجلان هذا هو الشريف عزالدين عجلان](١) ابن نعير بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن داود بن قاسم بن عبدالله بن طاهر ابن يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن حسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم ، ولي المدينة النبوية بعد وفاة أخيه ثابت بن نعير ، ثم عزل ، ثم أعيد ، ثم عزل ثانياً بعزيز بن هيازع بن هبة بن جماز بن منصور في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وثمانمائة ، وحمل في الحديد من المدينة إلى القاهرة ، وسجن في برج بقلعة الجبل حتى أفرج عنه عندما ذكر القاضي عز الدين المنام للملك المؤيد شيخ ، وأعيد بعد ذلك الى إمارة المدينة ، ثم عزل عنها بخشرم بن دوفان بن جعفر ابن هبة بن جماز ، وقتل في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة في حرب بينه وبين مانع بن علي بن عطية بن منصور ابن جماز ، واتفق أن الشريف سرواح بن مقبل بن نِخبار بن مقبل بن محمد بن رابح بن إدريس بن حسن بن ابي عزيز قتادة بن ادريس بن مطاعن بن عبدالكريم بن عيسى ابن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى

(١) سقطت من «ق» والمثبت عن «س» .

ابن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ؛ قبض على أبيهم مقبل أمير ينبع في سنة خمس وعشرين وثمانمائة وأقيم عوضه في إمرة ينبع ابن أخيه عقيل بن زبير بن نخبار . وحمل حتى سجن بالإسكندرية . ومات في سجنه وكحل ابنه سرواح هذا حتى سالت حدقتاه وورم دماغه ونتن . وأقام خارج القاهرة مدة وهو أعمى ثم مضى الى المدينة النبوية . ووقف تجاه قبر جده المصطفى صلى الله عليه وسلم . وشكا ما به [١٤٢/أ] وبكى ودعا الله تعالى ، ثم انصرف . وبات تلك الليلة فرأى في منامه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد مسح بيده المقدسة على عينيه فانتبه ، وقد ردّ الله عليه بصره ، فاشتهر خبره عند أهل المدينة ؛ وأقام عندهم مدة . ثم عاد إلى القاهرة ، فبلغ السلطان الملك الأشرف برسباي قدومه، وأنه يبصر فقبض عليه ، وطلب المزينين اللذين أكحلاه ، وضربهما ضرباً مبرحاً فأقاما عنده بينة يرتضيها من أتباعه بأنهم شاهدوا الميل ، وقد أحمي بالنار ، ثم كحل به سرواح فسالت حدقتاه بحضورهم . فعند ذلك كف عن قتلهما؛ لأنه ظن أنهما تمالآ على عدم إكحاله وكذلك أخبر أهل المدينة النبوية أنهم شاهدوا سرواح وهو ذاهب الحدقتين ، ثم إنه أصبح عندهم ، وقد أبصر بعد عماه، وقص عليهم رؤياه، فأفرج عن سرواح، وأقام حتى مات بالطاعون في آخر جمادي الآخرة سنة ثلاث وثلاثين

وثمانمائة شهيداً غريباً مُقِلا .

* * *

وحدثني الرئيس شمس الدين محمد بن عبد الله العمري قال : سرت يوماً في خدمة القاضي جمال الدين محمود العجمي محتسب القاهرة من منزله حتى جاء الى بيت الشريف عبد الرحمن الطباطبي (١) المؤذن، ومعه نوابه وأتباعه ؛ فاستأذن عليه ، فخرج من منزله ، وعظم عليه مجيء المحتسب إليه ، وأدخله إلى منزله ، فدخلنا معه ، وجلسنا بين يديه على مراتبنا ، فلما اطمأن به الجلوس . قال للشريف : يا سيد حاللني قال : لِمَ احاللك يا مولانا ؟ قال : لما صعدت البارحة إلى القلعة . وجاست بين يدي مولانا السلطان — يعني الظاهر برقوق — فجئت أنت وجلست فوقي في المجلس ، فقلت في نفسي : كيف يجلس هذا فوقي بحضرة السلطان ؟ ثم لما قمنا وكان الليل، ونمت رأيت في نومي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : يا محمود تأنف أن تجلس تحت ولدي ؟! فبكى عند ذلك الشريف عبد الرحمن وقال : يا مولانا ومن أنا حتى يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! فبكى الجماعة ، وسألوه

(١) في « ق » : «عبد الله الطباطبي » والمثبت عن « الضوء اللامع » و «س» .

الدعاء ، وانصرفنا[1]. والله أعلم .

* * *

تتبعه مؤلفه أحمد بن علي المقريزي ، فصح ذلك في ذي القعدة سنة ٨٤١ هـ والحمد لله وحده ؛ وصلى الله على من لا نبي بعده .

* * *

(١) ذكر السخاوي هذه القصة باختصار في كتابه «الضوء اللامع» انظر : ٨٦/٤ .

الفهارس العلمية

١ ـ فهرس الآيات القرآنية .
٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية .
٣ ـ فهرس الأعـــلام .
٤ ـ فهرس القبائل والطوائف .
٥ ـ فهرس الأماكن والبلدان .
٦ ـ فهرس الشعر .
٧ ـ فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات

الصفحة

* * *

فهرس الأحاديث

* * *

فهرس الأعلام

ف

ق

ك

* * *

فهرس القبائل والطوائف

* * *

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الشعر

فهرس الموضوعات

